وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: ...../.....

رقم التسجيل ط1: 201835075206

رقم التسجيل ط2: 181835086044

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب حديث ومعاصر

بعنوان

تيمة الموت في رواية "أعراس آمنة لـ إبراهيم نصر الله"

إعداد الطالبتين:

- صفاء ريزوق زغلاش
- نـورة لعشـاش

- أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. مولود قاني	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	رئيسا
د. بوديسة بولنوار	أستاذ	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د. خالد شبلي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1444/1443هـ.2023/2022م

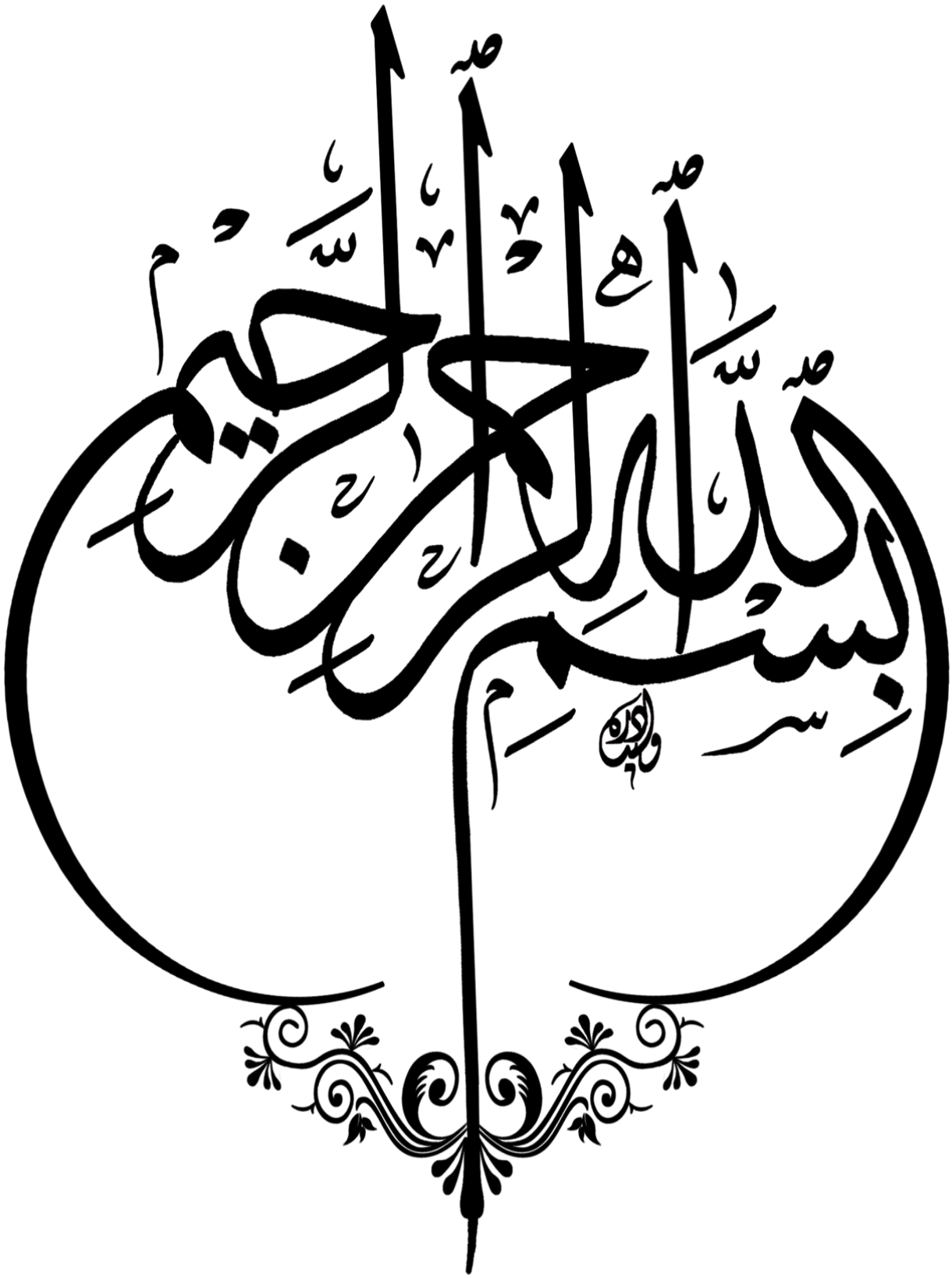
بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

التصريح الشرفي

الخاص بالتزام قواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا المعضي أسفله السيد زيزوني غلامي هناء الصفة (طالب ، باحث ، باحث دائم)

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم 204429708 الصادرة عن بلدية المسيلة بتاريخ 19/12/2018

المسجل بكلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي والمكلف بإنجاز بحث (مذكرة تخرج ، مذكرة ماستر ، أطروحة دكتوراه) عنوانه تيمة الموت في رواية أعراس آمنة لـ إبراهيم نصر الله

تحت إشراف الأستاذ بو لنوار بو ديسة

أصرح بشرفي أنني ألتزم بالمعايير العلمية والمنهجية والأخلاقية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المسجل أعلاه، وأتحمل مسؤولية مخالفة ذلك.

التاريخ

التوقيع

مصادقة البلدية

تمت الموافقة على التوقيع
المسيلة في 09 نوفمبر 2023
رئيس المجلس الشعبي البلدي

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
ونيابة عنه

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

التصريح الشرفي

الخاص بالتزام قواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا المضمي أسفله السيد نجوة لعشاش الصفة (طالب ، باحث ، باحث دائم)

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم 202847845 الصادرة عن بلدية المسيلة بتاريخ 2018/04/23

المسجل بكلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي والمكلف بإنجاز بحث (مذكرة تخرج ، مذكرة ماستر ، أطروحة دكتوراه) عنوانه تيمة الموت في رواية أعراس آمنة لـ أبو الجبين نعر الله بو لنوار بو دبيسة

تحت إشراف الأستاذ

أصرح بشرفي أنني ألتزم بالمعايير العلمية والمنهجية والأخلاقية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المسجل أعلاه، وأتحمل مسؤولية مخالفة ذلك.

التاريخ التوقيع

تم الإطلاع والتصديق على التوقيع
بلدية المسيلة في 03 نوفمبر 2023
رئيس المجلس الشعبي البلدي

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
ونيابة عنه المفوض رئيس الدائرة

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[سورة النمل، الآية:19]

حينما الحمد والشكر لله عز وجل الذي أعانني ووفقني في إنجاز هذا البحث المتواضع.

كما أتقدم بفائق الشكر والعرفان والتقدير إلى أستاذي الفاضل الأستاذ "بولنوار بوديسة" الذي تفضل بالإشراف على هذه المذكرة وصبره علينا في إنجاز هذه المذكرة والذي لم يبخل علينا بتوجيهاته القيمة ونصائحه وإرشاداته السديدة.

وإلى كل أساتذتي بجامعة المسيلة

وإلى كل زميلاتي في الدراسة

وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد

الإهداء

تحية برائحة الأريج المبعثر شذا زكيا، إلى أغلى ما لدي في الدنيا إلى الصبورة التي اصطبرت... وكافحت... و غمرتني ولا زالت تغمرني بدعائها، وتلفني بحنانها، وتسقيني بحبها قرة العين الغالية أمي

إلى من عاش وربى وتعب وكد من أجل نجاحي وفرحتي، أبي الغالي حفظه الله.

وكل الحب لمن أحاطوني بحبهم وعطفهم، حتى وقفت على قدمي: إخوتي

صفاء

الإهداء

إهداء إلى عائلتي أين تسكن الروح

إلى من أنارت بدعواتها دربي نبع الحنان وموطن الأمان جنتي أمي الغالية حفظها الله

إلى من يزيدني إنتسابي له فخر وإعتزاز و تمنيت أن يشهد نجاحي وهو الأن تحت التراب رحمه الله

إلى أمنياتي فرحتي حبيباتي وصديقاتي وأخواتي حفظكم الله ورزقكما بكل ما اشتهت أنفسكم

إلى وتيني وضلعي الثابت الذي لا يميل

وأخير أهدي هذا العمل البسيط إلى كل من يتكبد عناء قراءته سواء لتقييمه أو لنقده أو لزياده عمله أو لإشباع فضوله

نورة

مقدمة

شغلت تيمة الموت بال الكثير من الأدباء في الماضي والحاضر وذلك لأهميتها في حياة الإنسان، لأنّ الموت هو الحقيقة الوحيدة في عالم الغيب والوجود، وهذا لم يمنع اختلاف وجهات النظر حوله في مختلف الثقافات الإنسانية، ولكن بالحديث عن الموت يجب الحديث عن الحياة لأنّ الموت والحياة مرتبطان ولأن الموت جزء لا يتجزأ من الحياة، لذا اعتبرت ثنائية الحياة والموت واحدة من أهم الثنائيات في الإبداع الأدبي.

ففي دراستنا هذه المعنونة بـ "تيمة الموت في رواية "أعراس آمنة" سنحاول أن نميط اللثام عن هذه التيمة وحضورها في الأدب العربي وخاصة في روايتنا الّتي نحن بصدد دراستها، وسنحاول الإجابة على الإشكالية الّتي مفادها:

كيف يمكن تطبيق إجراءات المنهج الموضوعاتي على المتون السردية العربيّة؟ وما هي أبرز تجليات الحياة والموت المتشكلة في الرّواية؟

ومن جملة الأسباب الموضوعية الّتي جعلت لاختياري يقع على هذا الموضوع، ما نجده لهذا الموضوع من أهمية وأثر على الأدب لأنّ الموت ظل إلى يومنا هذا محل جدل واسع في الوسط الأدبي، ولأن موضوع الموت لم يتطرق إليه كثيرا من الجانب الرّوائي من حيث الدراسات الأدبيّة، ومن الأسباب الذاتية إعجابي بأسلوب الكاتب في الرّواية وكيفية طرح موضوع الموت وارتباطه بالخيال والتعرف على شروع (الملهاة الفلسطينية) الّذي بدأ العمل فيه منذ عام 1985 والّذي صدر منها سبع روايات لكل رواية أجواؤها الخاصة بها، شخوصها وبناؤها الفني واستقلالها عن الروايات الأخرى.

ولقد اعتمدنا على المنهج الموضوعاتي لاكتشاف أدبية أعمال إبراهيم نصر الله، ولأن المنهج الموضوعاتي يسعى لتتبع الموضوعات ورصد المضامين والتيمات الموضوعية المحورية وتحديد المفاهيم الدلالية المتكررة الّتي تتحكم في نسيج النّص أو العمل الأدبي، ويتخلله المنهج السيميائي في دراسة العتبات النصية.

ولقد احتوت دراستنا على مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، ولقد زاوجنا بين الجانب النظري والجانب التطبيقي.

المدخل: تناولنا فيه مجموعة من المفاهيم والمواضيع المتعلقة بالموت والحياة.

أمّا **الفصل الأول** المعنون بـ: المنهج الموضوعاتي في النّقد الأدبي، وقد تناولنا فيه خمس مباحث: تنوعت فيه المواضع الموضوع بين المفهوم والمصطلح، المنهج الموضوعاتي، أعلام النّقد الموضوعاتي.

أمّا **الفصل الثاني** المعنون بـ: تجليات موضوعة الموت في الرّواية، وقد تناولنا فيه خمس مباحث، نجد منها: العتبات النّصية وعالم الحياة والموت والشخصيات والحدث.

وختمنا موضعنا بمجموعة من النتائج المتحصل عليها.

واعتمدنا على مجموعة من المراجع قدمت لنا معلومات ضرورية وثمينة لإثراء دراستنا ونذكر منها: مناهج النّقد الأدبي ليوسف وغليسي، المنهج الموضوعي لعبد الكريم حسن، الموت في الفكر الغربي لجاك شورنا، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر لعبد الناصر هلال، واعتمدنا أيضا على مجموعة من الدراسات السابقة الّتي تطرقت لنفس موضوعنا نجد: جدلية الحياة والموت في روايات كنفاني وإبراهيم نصر الله لسمية عصام إبراهيم، العتبات في رواية "أعراس آمنة تحت شمس الضحى لموفق مقدادي وعبد الله الخطيب.

ولا شك في أنّ أي بحث لا يخلوا من بعض الصعوبات ومن بين الصعوبات الّتي واجهتنا: غياب تصور واضح عن المنهج الموضوعاتي في البلاد العربيّة وقلة المصادر والمراجع حول المنهج الموضوعاتي، فهي قليلة مقارنة بالدراسات والمناهج الأخرى لقلة الترجمة حول هذا المنهج، ونجد أيضا تعارض الآراء بين الأدباء حول موضوع الموت

والمنهج الموضوعاتي، فلكل منهم رأي مغاير عن الآخر، ونجد أيضا عدم الاهتمام بموضوع الموت في الجانب الروائي، فأكثر الدراسات حول الموت موجودة في الشعر.

ومن أهم النتائج الّتي نتطلع إليها من خلال هذه الدراسة: التعريف بموضوع أو تيمة الموت لدراستها أكثر وإعطاء أهمية لها، وإعطاء نظرة عن الكاتب إبراهيم نصر الله لأنّ كتاباته ذات ميزة وجودة عالية في انتقاء المواضيع ومن جهة أخرى التعريف بمشروع الملهاة الفلسطينية الّتي كانت عبارة عن تسجيل لتاريخ فلسطين وإبراز أحلام وطموحات الشعب الفلسطيني في ظل الاحتلال من خلال رصد التيمات الأساسية والمميزة والمحركة للرّواية.

وفي الأخير نتوجه بالشكر والاحترام لأستاذنا الفاضل "**بوديسة بولنوار**" الّذي أشرف على هذا البحث ومساعدته لنا ونصائحه الثمينة والشكر موصول كذلك إلى أعضاء لجنة المناقشة الّتي تكبدت عناء قراءة هذا البحث، فجزاهم الله عنا خير جزاء.

الله ولي التوفيق

مدخل

الموت والحياة مفاهيم عامة

1- مفهوم الموت لغة واصطلاحا

2- الموت في الفكر الغربي القديم

3- الموت في الفكر الغربي الحديث

4- الموت في الفكر الديني

5- ثنائية الموت والحياة

6- الموت في الدراسات الأدبيّة

1- مفهوم الموت لغة واصطلاحا:

الموت هو الحكاية الأكثر اكتمالا وهو من أصعب ما يواجه الإنسان في الحياة وأن كلّ حياة مآلها الموت ونهاية كلّ موجود، وما يهمنا في هذا المقام الوقوف على ماهيته خاصة أنّه يمثل محفزا كثيرا لها ومرعاة للتأمل فيما خلق الإنسان.

أمّا تعريف الموت من الناحية اللغوية فقد جاء في تعريفه في لسان العرب: "الأزهري عن الليث: الموت خلق من الله تعالى.

غيره: الموت والموتان ضد الحياة والموات: بالضم: الموت، مات، يموت موتا.

ورجل ميت وميت، وقيل الميت الّذي مات. [1]

والمائت: الّذي لم يمت بعد وحكى الجوهري عن القراء: يقال لمن لم يمت أنّه مائت عن قليل: وميت ولا يقولون لمن مات هذا مائت عن قليل وميت ولا يقولون لمن مات هذا مائت قبل، وهذا خطأ وإنّما ميت لا يصلح لما قد مات، ولما سيموت: قال تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾[2] وجمع بين اللغتين بن الرعلاء فقال: ليس من مات بمستراح بميت.

إنّما الميت ميت الأحياء.

إنّما الميت من يعيش شقيا.

كاسفا باله، قليل الرجاء.

فأناس يمصصون ثمادا.

وقوم موتى وأموات وميتون وميتون. [3]

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مج الثالث عشر، دار الصادر، لبنان، بيروت، 2005، ص147.

(2) سورة الزمر، الآية 30.

(3) المرجع نفسه، ص147.

ويقول ابن فارس: الميم والواو والتاء أصل صحيح يدل على ذهاب القوة من الشيء ومنه الموت خلاف الحياة. [1]

وقد ذكر أهل التفسير أنّ (الموت) قد ورد في القرآن الكريم على عدة أوجه منها:

أولا: ضد الحياة ويقع أنواعا مختلفة حسب نوع الحياة، منها: زوال القوة النامية، منه قوله تعالى: ﴿**لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا**﴾.[2]

ثانيا: ومنها زوال القوة الحسية، ومنه قوله تعالى: ﴿... **قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا**﴾.[3]

ويعرف الموت بأنّه الانتهاء التام وزوال الحياة عن الكائن الحي وأن الميت هو ما من فارق الحياة الدنيا.

الموت هو زوال الحياة.

والميت: الّذي فارق الحياة، الجمع أموات وهي ميتة وميت، قال تعالى: ﴿**لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا**﴾[4] .

والميت الّذي فارق الحياة، والّذي يوشك أن يموت، ومن في حكم الميت وليس به قال تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾[5]، جمع أموات وموتى، وهي ميتة.

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– «إذا مات لأحدكم ميت فأحسنوا كفنه، وعجلوا إنجاز وصيته، وأعمقوا له في قبره، واجنبوه جار السوء».

قال: «وهل ينفع في الدنيا؟».

---

[1] أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، مج5، المحقق عبد السلام هارون، دار الفكر العربي (ب. ب. ن)، 1979، ص283.

[2] سورة الفرقان، الآية 49.

[3] سورة مريم، الآية 23.

[4] سورة الفرقان، الآية 49.

[5] سورة الزمر، الآية 30.

قالوا نعم.

قال: «وكذلك في الآخرة».[1]

ويأتي الموت فجأة دون الشعور أو معرفة وقت مجيئه بقوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾.[2]

وقول رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «احذروا التسويف، فإنّ الموت يأتي بغتة، ولا يغترن أحدكم بحلم الله عز وجل، فإنّ الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله».

الموت اصطلاحا:

يشغل الموت كظاهرة كونية حيزا هاما في مختلف الاتجاهات الدينية والفكرية والعلمية والأدبية، الكل حاول العروج على الموت للقبض على مفهومه فليس هذا إلا انعكاسا لإدراك حقيقة المصير المحتوم الّذي يتربص به، وبالتالي إدراك الميزة البشرية الّتي يتفرد بها، فهو لا يدرك إنسانيته وخاصة البشرية إلا بإدراكه لفنائه.

وهذا الانفراد الّذي يخص به الموت الإنسان وحده، أحاطه بهالة من الغموض الباعث على الحيرة والقلق الموحي «إنني أجد فرقا بين مواجهة الموت بالبكاء كأن الدنيا تزلزلت، وبين مواجهته بالدهشة والتساؤل والحيرة، الموت فيه عنصر محير ولا معقول... وهذا العنصر يتضح بشكل حاسم في الموت الجزافي.[3]

وحدثنا أيضا محمد بن القاسم الجرجاني -رضي الله عنه- قال حدثنا أحمد بن الحسين بن علي الناصري، عن أبيه عن محمد بن علي عن أبيه الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عليهم السلام، قال: قيل للصادق عليه السلام: صف لنا الموت، فقال: «للمؤمن كأطيب

(1) محمد عبد الرحيم، الموت والقبور في الشعر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص06.

(2) سورة آل عمران، الآية 185.

(3) أرنولد توينبي وآخرين، الإنسان وهموم الموت، عزت شعلان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2011، ص10.

ريح يشمه لطيبه وينقطع التعب والألم وكله عنه، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب أو أشد، قيل: فإنّ قوما يقولون إنه أشد من نشر المناشير وقرض المقاريض ورضخ بالأحجار وتدور قطب الأرحية وفي الأحداق.

قال: فهو كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين، ألا ترون منهم من يعاني تلك الشدائد فذلكم الّذي هو أشد من هذا إلا من عذاب الآخرة فهذا أشد من عذاب الدنيا قبل»[1]

2- الموت في الفكر الغربي القديم:

إذا ما وصل الإنسان إلى ذاته متأملا أغوارها وعالمها، فإنه يتأمل في الوقت نفسه قضية وجودها وفنائها ليجد نفسه عاجزا عن التحليل والتفسير لبعض الظواهر الغامضة الّتي تعتري حياته كالعالم الروحاني أي ما راء الحقيقة الميتافيزيقية كالقدر والحياة وبعد الموت، بل بقي الموت ذلك المتشظي فوق حقل المقدس الشعبي والطقسي، حول نهايات اللانهاية فندركه ولا ندرك معناه، فرؤية المقابر أمر لا يثيرا أحدا وإذا ما حصل أن فقد الإنسان شخص في حياة يصاب بصدمة ونعقد لسانه عن التعبير هذه البوابة الميتافيزيقية شغلت الكثير من الفلاسفة والمفكرين حول مفهوم الموت، فصدرت تأملات ميتافيزيقية وآراء فلسفية واجتهادات فكرية شتى عن إيجاد حل لهذا اللغز الوجودي.

لذا استغلت فكرة الموت حيزا من تفكير الفلاسفة قديما وحديثا «وهن الأساطير النموذجية الّتي توضح أصل الموت أسطورة تاما بين الهوتنتوت Nama Hottentots الّتي جاء فيها أنّ القمر أرسل القملة يوما لتعد الإنسان بالخلود كانت الرسالة تقول: «كما أموت وفي مماتي أحيا كذلك أنت ستموت وفي مماتك نص» وصادق الأرنب اليسرى القملة وفي طريقها ووعد بنقل الرسالة، غير أنّه شبها وأبلغ البديل الخاطئ «كما أني أموت وفي

---

(1) الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ج3، معنى الموت، ص287.

مماتي أقي... الخ» فضرب القمر غاضبا الأرنب البري على شفته الّتي ظلت مشقوقة منذ ذلك الحين. [1]

وارتبطت ظاهرة الموت مع قضية الوجود إذ عد الموت للإنسان البدائي رهيبا للغاية «لأنّ البدائي لا تخطر بباله فكرة موته كضرورة منطقية في مدار الطبيعة، إنه لا يدرك حتمية الموت».[2]

فهو يعتقد أنّ الأسباب الّتي تؤدي بالضرورة إلى موت كلّ شخص مثل تداعي أعضاء الجسم، وضعف الشيخوخة وتضاؤل الطاقة الوظيفية.

ونجد أفلاطون «ينظر إلى المنفس على أنّها ذات أصل سماوي وأنّها تقطن الجسم كما لو كانت سجينة، وبوسعها الهرب عند الموت واستعادة ألوهيتها، وكما يشير كونفورد، فليس ثمة هوة هنا بين الإلهي والإنساني على نحو ما نجد في اللاهوت الهومري والخلود بهذا المعنى يتميز على نحو حاد على الدوام المحض».[3]

أفلاطون هنا يؤكد على خلود النفس ويعني أنّها «حينما يهاجمها الموت لا يمكن أن تفنى».[4]

وقدم مجموعة من الحجج على تأكيد خلود النفس، ومن بين هذه الحجج نذكر منها:

أ- أنّ النفس توجد قبل الميلاد وهذا الوجود السابق للنفس يقوم على أساس الاعتقاد بأنّ المعرفة هي التذكر، المعرفة الحقيقية المقصودة هنا ليست تجريبية وإنّما هي قبلية Opriore غير أنّ ذلك يؤدي فحسب إلى الاعتراف بوجود النفس قبل الميلاد فهل توجد بعد الموت؟

ب- النفس تتحكم في الجسد وتسيطر عليه ومن هنا فهي تشبه الآلهة الخالدة.

---

(1) جاك شورون، الموت في الفكر الغربي، تر: كامل يوسف حسين، عالم المعرفة، د ط، الكويت، 1978، ص16.

(2) أمل مبروك، فلسفة الموت، دط، بيروت، لبنان، 2012، ص46.

(3) جاك شورن، الموت في الفكر الغربي، ص53.

(4) المرجع نفسه، ص54.

ج- هناك "صور" أو "مثل" خالدة وثابتة وحيث أنّ النفس كقبلة بإدراكها فأنّه من المستعين أن تكون هي فإنّها خالدة وإلهية "فلا شيء فإنّ يعرف ما هو خالد".

وأكد أرسطو «كذلك وجود النفس السابق على البدن وكذلك انتقالها من جسم إلى آخر ويؤكد بالتالي على بقاء الشّخصية الفردية بعد الموت».[1]

ومن بين المذاهب الفلسفية الّتي تناولت ظاهرة الموت المذهب الفلسفي العظيم في العصور القديمة الرواقية من أكثر المذاهب تطورا نظرت إلى أنّ «النفس البشرية ذات طبيعة مادية تنشأ مع الجسد، وإن كانت موتها أكثر فناءا وأكثر نبلا، أنها جزء من النفس الإلهي وغير قابلة للفناء تماما ولكن تستوعب فقط من جديد في الروح الإلهية الّتي صدرت عنها وذلك في نهاية العالم».[2]

والمذهب الفلسفي الرواقي أنّ الفلاسفة الرواقيون لا يفصلون الإنسان عن الآلهة ويضعونها موضع اتصال مباشر مع مبدأ الآلهة، وأن النفس الإنسانية خالدة غير قابلة للفناء والزوال وأن الإنسان يعيش وفق الطبيعة لأنّ الإنسان يحيا وفق الطبيعة لأنّ الموت ينتمي إلى النظام الكوني للأشياء كالميلاد وأن العالم عند الرواقية ليس واقع تحت الصدقة وإنّما خاضع لقوانين كونية والعناية الإلهية.

3- الموت في الفكر الغربي الحديث:

لم يرهب خيال الإنسان شيء كما أرهبته فكرة الموت ولم يثر عقله من أفكار كفكرة انعدام العقل ذاته، فشغلت بال المفكرين والفلاسفة والباحثين فظهرت تيارات فلسفية واختلفت النظرة إلى الموت في الفلسفة اليونانية، وتعددت بين الإيمان به والدعوة إلى مهادنته وبين التشاؤم حياله ومقاومته، ثم انتقلت هذه الآراء إلى بعدها من الفلسفات فأثرت

(1) جاك شورون، الموت في الفكر الغربي، ص61.

(2) المرجع نفسه، ص76.

فيها بشكل أو بآخر إما الموافقة والرضى بهذا القدر المحتوم، أو المعارضة والتصدي باعتبار أنّ لغز الموت قد خيب الكثير من المفكرين فك هذا اللغز المحير ووقعوا أمام المعضلة عاجزين، ولم يجدوا أجوبة حلو تساؤلاتهم ولم ينقشع الغمام حول هذا الموجود المخفي المجهول.

فقد رأى باسكال أنّ «أفضل هو الأمل في حياة أخرى»، أما سبينوزا فقد ركز على «الوجود على العقل، فالوجود لا يفنى برأيه لأنّ العقل البشري لا يمكن تدميره بصورة مطلقة» ويرفض ليبنز الفناء النهائي ويرى «أنّ الموت تصالح الروح مع ذاتها قد مجد الرومنتيكيون الموت حيث يرون أنّ أفضل شيء هو الهروب من هذا الوجود البائس أمكن فيما يرى شونبهار أنّ «الموت هو الهدف الحق للحياة ويردف فريرياح أنّه يجب تعايش الحياة بكاملها امتلائها رغم الموت. [1]

وناقش هيغل أيضا مسألة الموت من منطق فلسفي، إذ يصف في هذا السياق الإنسان بأنّه فرد تاريخي حر، يعني أنّه متناه على الصعيد الأبطولوجي وأنه دنيوي أو مرتبط بالمكان والزمان على المستوى الميتافيزيقي وبأنه على المستوى الفيزميتولوجي ويبدو الإنسان في هذا المستوى الميتافيزيقي كائنا واعيا بموته باستمرار كثيرا ما يتقبله بغير تحفظ بل ويتطوع في بعض الأحيان من تلقاء نفسه بإيقاع الموت بذاته. [2]

4- الموت في الفكر الديني:

بعد الموت من المحطات الّتي بقي الإنسان يحاول فهمها وتفسيرها، وقد شغل الموت بال كثير من الفلاسفة والمفكرين في محاولة فهم هذه الظاهرة الغامضة المجهولة، ولم تقتصر مكلة الحياة والموت على الفلاسفة والمفكرين فقط، أنّها مسالة جوهرية ونقطة

---

(1) ابتسام بوطي، صورة الموت في الفكر الفلسفي الغربي مسرحية الذباب لجان بول سارتر أنموذجا، دراسة تحليلية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، العدد4، 2019، ص09.

(2) جاك شورن، الموت في الفكر الغربي، ص179.

مركزية في الديانات السماوية أيضا، وكلّ ديانة تناولت الموت بمفهومها الخاص، ومن هذه الديانات نذكر الديانة اليهودية.

4-1 الموت في الديانة اليهودية:

احتل الموت مرتبة هامة، فلا تكاد تخلو ديانة سماوية كانت أم أرضية في الحديث عنه، فنجد الديانة اليهودية تطرقت إلى الموت على أنّه الإنطفاء والتلاشي والعدم وأنه لا يفرق بين صغير وكبير ولا غني ولا فقير وأن الموت لا يعرف لا الطبقية ولا فارق السن وأنه حقيقة لابد منها وأن كلّ إنسان مصيره بالنهاية حتما الموت.

«وهذا الموت في عين كماله فكله مطمئن وساكن، أحواضه ممدودة لين ومخ عظامه طري، وذلك يموت بنفس مرة ولم يذق خيرا كلاهما يضطجعان معا في التراب والدود يغشاهما»[1]، فالموت في العهد القديم ارتبط بخطيئة آدم بإنزالهما إلى الأرض بعدما كانوا خالدين في الجنة، ليعيشا في نعيم الحياة وهذا النعيم يظل محصورا ومحدودا دائما طالما أنّ العقاب والمتمثل في الموت دائم.

4-2 الموت في الديانة المسيحية:

الموت هو النهاية الحتمية للأشياء وهو النقطة الأخيرة الّتي تكتب نهاية السطر وأكثر الأحداث الّتي تسبب الألم في النفوس، فالموت كلّ ما فيه من وحشة يهدم الذات ويفرق بين الناس الغالية، من الناس يصيبهم الخوف والهلع من الموت وتصبح حياتهم كابوسا ويعيشون في حالة الذعر والخوف والكآبة وهو في الواقع أنّ الموت يعتبر الحقيقة الأكيدة الّتي تقف عليها جميع الناس مهما كان اختلاف ألوانهم وأعرافهم ومعتقداتهم ودياناتهم بالرغم من عدم اجتماعهم على حقيقة أو ظاهرة عملية أو اجتماعية أو حتى دينية إلا أنّهم

(1) أحلام رحال، هاجس المبعث والقيامة في الحضارة الإنسانية الأجنحة والنور على الرابط التالي:
www.ahlam002.wordess.com

اجتمعوا على حقيقة الموت لكل بشر، بل لكل كائن حي لذا يبقى الموت هو الحقيقة الّتي لا جدال عليها، فالإنسان يعرف حتما أنّه سيموت «يتفق المسيحيون على أنّه من المفاهيم المسيحية للموت هو مفارقة الروح للجسد، حيث تنطلق الروح إلى مكانها اللائق بها، إما إلى مكان الأبرار أو مكان الأشرار، بينما يعود الجسد إلى التراب الّذي أخذ منه».[1]

وأن الأبرار ينعمون بالحياة الأبدية والحياة الأبدية هي بما لا يقاس أكثر من مجرد وجود أبدي فهي تشير إلى نوع الحالة والحياة الّتي يحييها المؤمن حياة لا تحدها حدود الأرض، إنّها حياة الشركة مع الله، الحياة لا يفوتنا أن نتحدث عن الأشرار فالكل حسب درجته من العذاب، الكل بحسب إدراكه ومسؤوليته عن الأخطاء الّتي اقترفها في حياته في الأرض «يكتب الرسول بولس أنّ الله سيجازي كلّ واحد حسب أعماله»[2] رومية، فالبعض سينال عذاب دينونة أعظم والبعض الآخر سيكون عقابه، والبعض الآخر ستكون حالتهم أكثر احتمالا وأن عذابهم سيكون عذاب أليم.

4-3 الموت في الدين الإسلامي:

لم تشغل الحياة والموت بوجه عام وقضية الموت بوجه خاص الفلاسفة والمفكرين فحسب، بل لأنّها مسألة جوهرية ونقطة مركزية في الديانات السماوية وغير السماوية، فقد كان للدين علاقة وطيدة بتيمة الموت، فلما كان الموت مجهولا باطنيا لدى الناس وأمرا غيبيا، لذا كثرت النصوص الدينية حوله سواء في السنة النبوية المطهرة أو القرآن الكريم، وقد ورد في عدة مواضع نذكر منها قول الله عز وجل: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾[3] الشطر الأول من الآية الكريمة يخبرنا عن قانون الموت وصرامته وأنه لا

(1) https://www.st-takla.org/ f

(2) إشكالية الموت في الديانات السماوية والأرضية دراسة تحليلية، موقع *anticles.https//www.mominoun.com*

(3) سورة العنكبوت، الآية 57.

يغادر أحدا، أمّا الشطر الثاني من هذه الآية فيؤكد على الرجوع إلى الله عز وجل الحي الّذي لا يموت وأن الموت لا يمثل النهاية المطلقة بل هو باب تلج منه إلى عوالم أخرى[1]

وقد جاء الموت أيضا في القرآن الكريم بمعنى الفناء والفناء هو نقيض البقاء والفعل فنى يفنى نادر، فهو فاني وأفناه هو وتفانى القوم قتلا: أفنى بعضهم بعضا وتفانوا أي أفنى بعضهم بعض في الحرب وفني يفنى فناء، هرم وأشرف على الموت هرما، وقال الشيخ الكبير فإنّ. [2]

ورد العتاد في القرآن الكريم بمعنى الموت في قوله تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ(27)**﴾.[3]

الضمير في ﴿**عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ للأرض، وقد جرى ذكرها في أوّل السورة في قوله تعالى ﴿**وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ**﴾[4]، ووجه النعمة في فناء الخلق والتسوية بينهم في الموت وقيل: أي أنّ وجه النعمة أنّ الموت سبب النقل إلى دار الجزاء والثواب.

وعن أبي عباس رضي الله عنهما ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾[5] قال: لما نزلت الآية قيل: يا رسول الله فما بال الملائكة؟ فنزلت ﴿**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[6]، فتبين هذه الآية أنّ كلّ شيء فاني، الملائكة والثقلين من الجن والإنس، وسائر عالم الله وبريته من الطير والوحش والسباع والأنعام، وكلّ ذي روح أنّه هالك ميت.

---

(1) قاضي إلياس، نور الدين زرادي، الموت في شعر عز الدين ميهوبي، ديوان "كاليغولا يرسم غرنيكا الروايس"، العدد2، 2021، ص350.

(2) المرجع نفسه، ص355.

(3) سورة الرحمن، الآية 26–27.

(4) سورة الرحمن، الآية 10.

(5) سورة آل عمران، الآية 185.

(6) سورة القصص، الآية 88.

وقضية الموت قضية بارزة في القرآن الكريم جدا يلمسها المتتبع في آيات الكتاب الكريم، فلا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من إشارة الموت أو تقرير لوقوعه أو شرح لأحداثه وأهواله، وتنوعت الأساليب وتعددت الطرق وذلك لأهمية الموت العظمى في تقرير حقائق الفناء لكل المخلوقات، لا ثبات صفة الحياة الدائمة السرمدية لله جلا وعلا وبيان نهاية عمر الإنسان ونهاية رحلة العمل والبدء في رحلة الجزاء والحساب.

والموت كما يذكر الغزالي في الأجساد وهي ثلاث:

- **الأولى:** شدة النزع وغرغرة الروح وتخلصها من البدن.

- **الثانية:** مشاهدة صورة ملك الموت وعدم إطاقته، ومشاهدة الملكين الحافظين فيقولان للمطيع: جزاء الله عنا خيرا قرب مجلس صدق أجلسا وعمل صالح أحضرتنا، ويقولان للفاجر: لا جزاك الله خيرا خرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا، فلا جزاك الله عنا خيرا.

- **الثالثة:** مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وفوقهم قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج من أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بإحدى البشريين إما برضوان الله أو بعذابه وعقوبته.

وبعد خروج الروح وأثناء تلك الدقائق العصيبة المضطربة ترتفع الحدقتان إلى أعالي أجفانه وتتقلص الشفتان ويتقلص اللّسان إلى أصله وتخضر أنامه. [1]

أمّا الموت من منظور أهل العلم الشرعي فهو انتقال من عالم من عوالم الله سبحانه وتعالى إلى عالم آخر من عوالمه سبحانه وتعالى أيضا، أي الانتقال من دار الدنيا إلى دار

---

[1] دلال سليمان المسلم، ذكر الموت في القرآن الكريم دراسة موضوعية، ص1524.

البرزخ، انتظارا فيها للوصول إلى الدار الآخرة أي الانتقال من دار الفناء إلى دار البقاء.[1]

أي الانتقال من دار التكليف والعمل الدنيوي إلى دار الثواب والعقاب الأخروي لقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه (8)**﴾.[2]

والموت ينقل العبد من دار الدنيا إلى دار البرزخ وهذا ما نجده في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)**﴾.[3]

5- ثنائية الموت والحياة:

لقد شغلت قضية الحياة والموت تفكير الإنسان منذ بدء الخليقة حتى اليوم، فقد كانت موضوع القلق والتوتر والتفكير، ولقد اهتم بها أيضا الفلاسفة والمفكرون والأدباء وأثارت اهتمام الدارسين لما فيها من رؤى متنوعة وأفكار جديدة بالنظر والتأمل، وهي رؤى وأفكار أفرزت جدلية كبرى، كان الموت والحياة فيها وجهين لحقيقة واحدة مثيرة ومدهشة، وعند ذكر أحدهما أو استحضاره فأنّه يحضر الآخر بشكل غير مباشر.

ولقد تبنى الفلاسفة والمفكرون عدة رؤى وأفكار أنّ "الحياة هي الموت"[4] وهذا يعني أنّ جميع المخلوقات في الأرض بما فيهم الإنسان سوف تموت حتما لتنتقل إلى حياة أخرى في جهة أخرى.

---

(1) محمد أحمد حلمي عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر، الموت الشرعي والطبي والأحكام الفقهية المترتبة عنها، 553-554.

(2) سورة الزلزلة، الآية 07-08.

(3) سورة المؤمنون، الآية 99-100.

(4) أمل مبروك، فلسفة الموت، دار التنوير، بيروت، لبنان، 2011، ص08.

وهناك من يرى أنّ الموت ما هو إلا طريق يصل الإنسان بهذه الحياة، وما هو إلا معبر لحياة أخرى أعدها الله سبحانه وتعالى بعلمه وقدرته وعظمته.

هناك حكمة قديمة تقول "علي أن أموت لكي أولد من جديد"، يعني أنّ الإنسان متناقض في آرائه حيث نجد من يهرب من الموت ويخاف منه حتى لا يملك الجرأة أن يتكلم عنه أو يهادنه خلال حياته، لكن في الوقت نفسه نجد من يريد الموت ألف مرة في اليوم للهروب والتخلص من عذاب وآلام الحياة، ولكن إذا حان وقته يسعى للهروب والبقاء في الحياة بكل الطرق الممكنة، يا له من تناقض لا نعرف أنفسنا هل نحن نريد الحياة أو الموت، الموت لا يعني فقط نهاية الحياة، لأنّ الحياة لا حدود لها لتنتهي.

وهناك عدة كتاب وروائيين استلهموا أحداث رواياتهم من الجدل القائم بين الحياة والموت وعلاقتهما المباشرة بالإنسان وما يحيط به، كثير من الأدباء وظفوا جمالية الموت في النطاق الأدبي وسلطوا الضوء على البنية الداخلية لثنائية الحياة والموت، الّتي يستلهمها الكاتب من واقعه باعتباره إنسانا بالدرجة الأولى، ليحولها من حقيقة واقعية موجودة بداخله تعكس حالته النفسية إلى فضاء ورقي يخفي بشاعة الموت وقساوة الحياة، لتصبح أحداث لمجموعة شخصيات تجسد الجدل القائم في هذه الثنائية.

ومن جهة أخرى الموت نهاية قد يسعى إليها الإنسان طلبا للحياة الأخرى حسب معتقده، فالمسلم يسعى إلى الحياة كما يسعى إلى الموت من خلال الشهادة في سبيل وطنه وأمته ودينه، إيمانا منه بأنّ الشهادة هي الطريق نحو الحياة الفضلى الّتي وعد الله بها المسلمين، فالجنة هي الأمل والرجاء والمسعى الّتي يسعى إليها الإنسان المسلم المؤمن بالله وبرسوله إيمانا حقيقيا.[1]

---

(1) محمود درباسة، ثنائية الحياة والموت في شعر محمد القيسي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 8، العدد 2، 2015، ص3-4.

ولذلك فالموت في الدين الإسلامي ليس ذلك المجهول الّذي يبث الخوف والرهبة في النفوس، ولكنه قضاء الله وحكمته في أن يعيش الإنسان عمرا زائلا في الدنيا ثم يعيش عمرا خالدا في الآخرة، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ**﴾[1]، ويقول جل وعلا: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**﴾.[2]

وقد بلغ الاقتران الجدلي بين الحياة والموت حدا صار فيه (الموت) هو (البدء) والحياة هي (النهاية) وفق المعتقدات الدينية الّتي تمنح تفسيرا لسبب وجود الإنسان على الأرض وسبب نشأة حياة الإنسان عليها، قال تعالى: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[3]، ويقول جل وعلا: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾.[4]

ثنائية الحياة والموت هي واحدة من أهم الثنائيات في الإبداع الأدبي، وقد عالجها الكتاب بطرق مختلفة ومع ذلك فإنّ المتفق عليه هو أنّ الموت جزء لا يتجزأ من الحياة، فعلينا أن نحب الحياة كما منحت لنا وأن نستعد للموت كما كتب لنا، والحياة والموت ثنائية كانت ومازالت، وستبقى سرا مغلقا في ذلك الإنسان، فالإنسان يكد ويجتهد في البحث عنها، ولكنه لا يصل إلا إلى بعض دلالات مظاهرها، ويذهب شرقا وغربا في تفسيرها، وكلما جاء بتفسير عقلاني خطأه تفسير عقلاني آخر، لأنّ ثنائية الحياة والموت هي أعلى الأسئلة الوجودية وأكثرها تعقيدا، وذلك للتشابهات الفلسفية والموضوعية والواقعية الّتي تسكن ذاكرة الإنسان "الأديب".

(1) سورة الحجر، الآية 23.

(2) سورة آل عمران، الآية 145.

(3) سورة البقرة، الآية 28.

(4) سورة الملك، الآية 20.

6- الموت في الدراسات الأدبيّة:

6-1 العصر الجاهلي:

لقد تميز العصر الجاهلي بالاهتمام الكبير بموضوع الموت وهذا ما نجده في "الرثاء" الّذي كان منحصرا على البكاء على الميت والتحسر على فقدانه والّذي كان يتخلله نوع من الحزن والإشفاق، ومحاولة الصبر والتعزي.

ولقد اتخذ الشعراء هذا الفن الشعري "الرثاء" ملجأ ومفرا للتعبير عن عواطف الحزن والأسى على الموت، ولذلك غالبا ما نجد العاطفة في "الرثاء" صادقة، وكلما كان الشاعر ذا صلة بالميت كلما كان أكثر صدقا، كما نجده في رثاء الأبناء والآباء والزوجان ورثاء النفس الّذي يعتبر أقوى العواطف، فليس هناك ما هو أقرب للإنسان منافسة، ومن أمثلة من كتبوا في "الرثاء" في الشعر الجاهلي "أمرؤ القيس" يقول:

قِف نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومنزلي يسقط اللِّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فحوملي[1]

ويقول الذبياني وهو أحد الشعراء الّذين مجدوا خطاب الموت في رثائيته للنعمان بن المنذر:

فَلَا تَبْعُدَنْ إنّ الْمُنْيَة موعد وكلّ امْرُؤٌ يَوْمًا بِهِ الْحَالُ زَايَل[2]

بالإضافة إلى الرثاء نجد شعراء تميزوا بالحكمة وعايشوا الحياة فأنطقتهم تجربة الأيام بأنّ الموت (حقيقة مطلقة) ونهاية حتمية لا مهرب لأي كائن منها، ولا مطمع للإنسان في خلود يرتجى أو يؤمل، فالموت طريق يسير إليه الجميع، وقد برز في هذا

---

(1) ديوان امرؤ القيس، مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص110.

(2) ديوان النابغة الذبياني، شرح عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996، ص155.

الاتجاه في شعر "قيس بن ساعد" الّذي أيقن أنّ الموت قدر محتوم لا مفر منه فنجده يقول:[1]

فِـــي الـــذاهبين الأول   لنا مِن القروب لَنَا بَصائِر
لَمَّـــا رَأَيْـــت مـــواردا   للموت لَيْسَ لَهَا مُهَـــاجِر
ورَأَيْت قَـــوْمِي نحوهـــا   يمضي الْأَصَاغِر وَالْأَكَابِر
أَيْقَنْت أَنِّي لَـــا محالـــة   حيث صَار الْقَـــوْم هائِـــلٌ

وهذا "امرؤ القيس" أيضا متأملا يدرك أنّ الموت تأتي على سائر الناس لا تفرق بين مجنون وعاقل وأحمق: [2]

تِلْك الْمَنَايَا فَمَا يَبْقَينّ مِن أحد   يكفتن حُمْقًا وَمَا يَبْقَينّ أَكْياسا

كما نجد "عبيد بن الأبرص" الّذي يرى أنّ الموت مصاحب للإنسان في كلّ زمان ومكان ولو كره ذلك فيقول: [3]

فَأَبْلِغ بَنِـــي وأعمـــامهم   بأنّ الْمَنَايَا هِي الراصـــدة
لَهَا مُدَّةٌ فنفوس العبـــاد   إليها وَأَنَا كُرِهَت قَاصِدِه

2-6 العصر الإسلامي "صدر الإسلام":

شهدت ظاهرة الموت تغيرا في الهدف والرؤية فقد أحدث الإسلام تحولا فكريا في حياة العرب وتحولت معه كثير من المفاهيم والمبادئ، فالحياة في الإسلام هبة ربانية من الله سبحانه وتعالى للناس، فالموت قدر محتوم من الله عز وجل مثله مثل الحياة، فالموت والحياة متلازمان ولقد جاء الإسلام ليقضي على الضلال الجهل والانحراف وإزاحة

---

(1) حسن أحمد عبد الحميد عبد السلام، الموت في الشعر الجاهلي، الحسين الإسلامي في حارة المدرسة خالق جامع الأزهر الشعري، 25، 1941، ص1-128.

(2) المرجع نفسه، ص128.

(3) ديوان عبيدة بن الأبرص، تحقيق: محمد علي دقة، دار هاجر، ط1، بيروت، 2003، ص195.

الغموض الّذي كان يلتبس معظم الأمور، والتّي من بينها "الموت"، وقد نزلت معظم آيات القرآن الكريم تعالج هذا المضوع الّذي كان عالقا في الأذهان ونزيل الغموض عنه: حيث يقول تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)**﴾.[1]

فنحن نعيش من أجل أن نبتلى ونموت، ولكننا بعد هذا الابتلاء وسنصل إلى دار الحق وهي دار الجزاء ليجد كلّ واحد منا ما عمله ولو كان مثقال ذرة خيرا أو شرا.

ولقد وردت كلمة "الموت" في القرآن الكريم إذ ورد ذكر كلمة الموت وما اشتق منها في آيات القرآن الكريم مائة وخمسا وستين مرة، وتنوعت الحقول الدلالية ما بين التأكيد على أنّه بيد الله وحده وحتمية الموت وشموليته وعلى غيبية موعده فلا تدري نفس متى تموت ولا بأي أرض يكون الأجل.

ونجد الشاعر "أبو العتاهية" يتكلم على الموت على أنّه جسر نمر عبره للتنقل من دار إلى دار أخرى وأن الحياة فانية وأن الموت آتٍ وما ذاك إلا لغاية وتدبير.

يقول "أبو العتاهية":[2]

الْمَوْتُ بَابٌ وكلّ النَّاس داخله   يا لَيْتَ شِعْرِي، بَعْدَ الْبَابِ، مَا الدَّارُ

الدرَّاجَة خَلَد إنْ عَمِلْــت بما   يــرمي الْآلَة، وَإِنْ قَصُرَتْ، فَالنَّار

فقد أصبحت هناك نظرة مختلفة إلى "الموت" بمجيء الإسلام.

3-6 العصر العباسي:

الموت في العصر العباسي نجد أنّ له حضورا قويا عند أصحاب هذا العصر منهم نجد أبو العلاء المعري الّذي يعد الموت عنده له حضور أليف فهو يستسيغه وكأنه شيء

---

[1] سورة الملك، الآية 01-02.

[2] ديوان أبو العتاهية، تح: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ص149.

عادي دون خوف أو جزع منه "حضور أليف، له مذاقه الّذي يفجر نشوة غير عادية، يشعر بالامتلاء والتحقق، باليقظة والسعادة فهو يضل مشدودا إليه ابدا، على اعتبار أن نصيبيه الأوفر حظا من الحياة، الّتي تعد قدرا معتما"[1]، ومن هنا تصبح الرؤى الإنسانية أكثر عمقا للتجربة الوجودية.

حيث يقول "أبو العتاهية"[2]:

أنْ يَقْتَرِبَ الْمَوْتَ مني فلســت أُكــْرِه قُــرْبَــةٌ

إذن فهو يرى أنّ الموت هو ملاذا ومفرا من أكدار الحياة ومشاكلها وهمومها.

ونجد الموت عند الشاعر الصوفي على أنّه أساس الحياة فلا حياة تتحقق إلا بالموت وأن الموت هو الّذي يلاقيهم بمحبوبهم لطالما انتظروا تلك اللحظة بفارغ الصبر، فنجد الحلاج "يرى حياته في موته حيث الوصل مع المحبوب لا يتم إلا بذلك"[3] حيث يقول[4]:

هنا نجد حب الموت على أنّه لحظة امتلاء بالحياة، ويقين قام به، فالشاعر الصوفي يرى أنّ السعادة الحقيقية في وصول الموت لأنّها الرابط الّذي يصل به إلى محبوبته.

وأيضا نجد "ابن الفارض" الّذي يرى أنّ الموت يطلب في الحب ولا تطلب الحياة في الحب وإذا لم يمت عاش واقعا مدمرا "الغرام بجمع بين النقيضين في آن واحد الحياة/ الموت عند ابن الفارض ومن لم يمت رغبة في الوصل، ومن أجل حياة سعيدة فأنّه يفقد الوجود".[5]

---

(1) عبد القاهر هلال، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارات العربية، القاهرة، ط1، 2005، ص20.

(2) المرجع نفسه، ص20.

(3) المرجع نفسه، ص22.

(4) المرجع نفسه، ص22.

(5) المرجع نفسه، ص22.

فيقول[1]:

فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُحْيِ سَعِيدًا فَمُت به شهيــدا وَإِلَّا فالغــرام لَهُ أَهْلٌ

الموت والقتل والاستشهاد هو قانون الحب عند ابن الفارض، بل عند المتصوفة جميعا، فالشعراء المتصوفة يعدون الموت شرطا لوجودهم الحقيقي الفعال، فيمتلئون به بهجة وسعادة، على عكس الشعراء الآخرين الّذين ينفرون من الموت، ويحاولون الهروب والفرار من قدر المستطاع.

6-4 العصر الحديث والمعاصر:

ومع مطلع القرن العشرين، اختلفت معطيات الواقع وآليات الوعي الإنساني عن الحقب السالفة، ففي الربع الأول منه ظهرت ملامح النزعة الرومانسية في العربي الحديث ونضجت وتطورت، كما مثل تيارها متدفقا وقويا حتى نهاية الأربعينيات والخمسينيات، وتجلى إحساس الرومانسية بالموت في معظم أشعارهم واتخذوه قضية ذاتية تخص الشاعر منهم وحده دون غيره من الناس، فحفلت أشعارهم به، وصفقوا ينشدونه تارة، ويرون فيه مخلصا لهم من آلامهم وعذابهم ومعاناتهم للحياة، وتارة أخرى راحوا يفزعون منه ويخافون ويرون فيه محطما لأحلامهم وأعمالهم وحياتهم. [2]

فمن الشعراء الرومنسيين الّذين اهتموا بالموت في أشعارهم بوصفه مصيرا إنسانيا نجد عبد الرحمن شكري، وهو أوّل شاعر رومانسي النزعة، أدخل موضوع (عشق الموت) في الشعر العربي الحديث بحيث يرى في الموت منقذا وخلاصا وملاذا ومهربا لجميع آلامه وأحزانه حيث يقول[3]:

---

(1) ديوان ابن الفارض، شرحه وقدم له مهدي محمد فاهر الدين، دار الكتب العلمية، ط3، 2002، ص182.

(2) عبد الناصر هلال، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، ص23.

(3) المرجع نفسه، ص24.

وَيَا مُنْصِفًا لِمَظْلُوم مِن كلّ ظـــالم　　　ويا مَهْرَب الْمَلْهُوف يَخْشَى الأعاديا
وَيَا مُبَرِّئًا كَلَّـــم الْحَيَـــاة يطلبـــه　　　حلا لَك أَنْ رَاق مَـــا كُنْـــت شَـــافِيًا
فَيَا مَوْت يَا أَمَّا أَطالَت فصـــامها　　　أمالـــك قَلْـــب يُـــرَام الْوَلَـــد حانيـــا
إِلَّا أرضعيني مَنْ لَـــك أُمٌّ حـــرة　　　لأذكر مَا قَدْ كُنْت فِي الْعَيْشِ نَاسِـــيًا

من خلال هذه الأبيات نجد أنّ "عبد الرحمن شكري" يرى في الموت راحته، ويراه حلا للهموم الّتي تنتابه والآلام التي يعانيها في هذا الوجود، الّذي رأى فيه منقذا لأحزانه فنلحظ من خلال مناداته "الموت" ورغبته الملحة فيه واستباقا له.

وبعد هذا التسلسل الزمني نصل إلى "الموت" في التجربة الشعرية المعاصرة، وهي فترة لا تقل اهتماما عن سابقيها بقضية الموت، حيث تناولوه بكثرة في أشعارهم ولكن تختلف كيفيته، فقد ارتبط بجميع السياقات والجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، كما ارتبط أيضا بالفلسفة والموقف الذاتي لكل شاعر وظروفه الخاصة به، وميولاته النفسية والاجتماعية فنجد أنّ "الموت" موجود في كلّ أشعارهم ودوانينهم.

فنجد من الشعراء المعاصرين "بدر شاكر السياب" الّذي عرف الموت وهو لا يزال يافعا، إذ ذاق مرارة حرمانه من أمه وهو في السادسة من عمره، حيث عاش لذلك كثيرا خاصة وأنّه لم يلق العطف والحنان من ذويه، يقول[1]:

حيالك مِنْ أَهْلِـــي الأقـــربين　　　أبـــر وَإِنْ كَـــانَ لَـــا يُعْقَـــلُ
أَبِى مِنْهُ قَدْ جردتني النســـاء　　　وأمي طواها الـــرَّدَى الْمُعَجَّـــل
فَمَالِي مِنْ الدَّهْرِ إلَّا رضـــاك　　　فرحمـــاك فَالـــدّهْر لَـــا يُعْـــدَلُ

[1] بدر شاكر السياب، الديوان، دار العودة، بيروت، 1974، مج2، ص151.

"بدر شاكر السياب" من الشعراء الّذين هاجمهم المرض منذ طفولتهم حيث يئس من الحياة كما حاصره الجوع، والفقر فرأى في الموت الواقع المعيشي والحقيقي الّذي أصبح ينتظره ليتخلص من آلامه وأحزانه ثم يتحول هذا "الموت" بعد ذلك إلى مصير إنساني يتأمله الشاعر ويغوص في أعماقه. [1]

ونجد أيضا "أمل دنقل" الّذي لا تخلو قصائده من ذكر الموت، فهو كما معروف عنه بالنظرة التشاؤمية إلى الحياة حيث تتحول قصائده إلى مراث لعالم يحتضر أو عالم ينتشر فيه الموت.

أمّا جانب النثر نجد أنّ هناك عدة روائيين وكتاب اهتموا بموضوع الموت وكتبوا عنها نجد رواية "قتلت أمي لأحيا" لمي منسى ورواية "كاف الريح" لياسين نوار وروايات أخرى، اهتمت بموضوع الموت وأعطته أهمية لكونه مرتبط بالإنسان وما يدور حوله من ظروف وتحولات نفسية وفكرية واجتماعية، وهناك من جعلها سردا لأحداث كانت حقيقية في واقعنا وصاغها في قالب حكائي أدبي ليروي أحلام الإنسان وخيالاته لمعرفة ما يخزنه الإنسان في نفسه.

ويمثل الموت رافدا جماليا في الأدب العربي حيث غذى النصوص الأدبيّة بتيمة جديدة، حيث شكل هاجسا أساسا في الكتابة الروائية، فكما الموت رديف للحياة فهو رديف الكتابة، إذ يضيف على العوامل الأدبيّة الّتي يشكلها الكتاب أبعاد درامية تمثل رافد إغناء جمالي ودلالي لنصوصهم، فيمثلون المكان والزمان والشخصيات...، ويحضر الموت كسؤال مركزي لأغلب المتون السردية حيث تعرض تلك الروايات المصائر الّتي لاقتها شخصيات رواية في أزمنة عديدة، وهذه المشاهد الحزينة الّتي آلت إليها تلك الشّخصيات

---

[1] عبد الناصر هلال، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارات، ط1، القاهرة، مصر، ص27.

تحيلنا إلى شبكة من الثنائيات يصنعها الموت في مختلف علاقاته "علائقة" من قبيل موت الأنا/ موت الآخر/ الموت الطبيعي/ الموت الطارئ (قتلا أو انتحارا).[1]

"ولقد شكل الموت في الروايات بصورة واسعة في أشكال عديدة حيث نجد موت اجتماعي وعاطفي وموت سياسي ووطني، وموت فكري وفلسفي وقبل هذا وذاك موت حقيقي".[2]

والملاحظ على النصوص الروائية وعيها بأهمية ذلك الحدث-الموت- وتأثيراته النفسية والاجتماعية لذلك جاءت تلك التجارب صادقة شعوريا وفنيا، حيث تحولت تلك النصوص الأدبيّة إلى تجربة شعورية موظفة في بطانتها الوجدانية التراكم التراثي والبعد الاجتماعي.

ولتجربة الكاتب أهمية كبيرة لأنّ الكاتب إذا عايش تجربة الموت كان أكثر صدقا في نقل صورها ومشاهدتها، فهذه التجربة القاسية "حطمت نفسه، واقتنع أنّ الموت نهاية الحياة، بل هو مأساتها الكبرى، وازداد يقينا حين نقل تجربته الجريئة خاصة إلى واقع الإنسان عامة لتكون النظرة كلية تتفق حول حقيقة الحياة بعدما طريقا قصيرا إلى الفناء".[3]

ويعتبر الكاتب أكثر قدرة على الإحساس بقوة الموت، وأكثر شجاعة على مواجهة جبروته، وتعميق دلالاته فهو يتأمل في الوجود والعدم، يستبطن الأشياء، يتغلغل فيها بحث عن حقيقتها، يتبعها وهي في أوج حركتها وديمومتها، إنه الحاضر الآتي منطلقا إلى الآتي.

---

[1] سمية بوصلاح، جدلية الحب والموت في قصة البوغي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص63.

[2] أم الخير حبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013، ص216.

[3] رضوان جنيدي، مأساوية الموت في الشعر المغربي القديم، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلة دورية محكمة، تصدر عن معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي لتمنغست، العدد الأول، ديسمبر 2012، ص134.

الفصل الأول

المنهج الموضوعاتي في النّقد الأدبي

المبحث الأول: الموضوع بين المفهوم والمصطلح

المبحث الثاني: المنهج الموضوعاتي المزايا والسلبيات

المبحث الثالث: المنهج الموضوعاتي

المبحث الرابع: الآليات الإجرائية في المنهج الموضوعاتي

المبحث الخامس: أعلام النّقد الموضوعاتي

المبحث الأول: الموضوع بين المفهوم والمصطلح

أ- عند الغرب:

اهتمت القواميس الأجنبية بمصطلح الموضوع Le Theme وراحت تتبع تطوراته من جذوره الأولى.

كما جاء في المعجم التاريخي للغة الفرنسية أنّ "موضوع Théme" ينحدر من اللاتينية من كلمة "تيما Théma" الّتي تنحدر بدورها من اليونانية وهي مشتقة من الفعل وضع "تيتيني Tihenai" والتّي تدل على الشيء الّذي نضعه... ومن هنا أصبحت تدل على مبلغ من المال.[1]

كما جاء في معجم لاروس الصغير موضوع theme (كلمة يونانية تعني ما هو مقترح، ذات، فكرة، يتم التفكير فيها لإنتاج خطاب مؤلف). [2]

كما جاء أيضا في قاموس لاروس الصغير أنّ "الموضوعاتية هي صفة خاصة بموضوع... وهو طريقة في القراءة النّقدية الموجهة نحو دراسة الموضوعات الشابة لدى مؤلف معين.

ب- عند العرب:

فنجد في معجم "قطر المحيط" "تامَهُ الحبُ يُتَمَّمُهُ وتَيَّمَهُ تَتْيمَا عبده وذالله، فهو مُتَيَّمٌ، وإتَّام يُتامُ إتيَاماً، ذبحَ التيمة والتَّيم مصدر تام والمستعد، ويقال هو تيمُ الله أي عبد الله وأصله من قولهم تَيّمه الحبُ.

---

(1) لوبير، المعجم التاريخي للغة الفرنسية، باريس، 1992، ص2114.

(2) لاروس الصغير، باريس، 1998، ص1006.

التيماء الفلاة، ونجوم الجوزاء وأرض تيماء أي فقرة مهلكة التيمة، والتئمة: الشاة التي تذبح في الجماعة والشاة الزائدة على الأربعين حتي تبلغ الفريضة الأخرى، وفي الحدث الشريف "التَّيْمَةُ لأهلها"[1]

كما وردت لفظة تيمةُ في لسان العرب لابن منظور: "التّيمَة بالكسر الشاة تذبح في الجماعة والإتْئَام ذابحها وهو مذكور في الهمز وكتب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لوائل بن حُجَر كتابا أملى فيه، في التبعة شاة والتيمة لصاحبها، وقيل هي الشاة تكون لصاحبها من منزله يحتلبها"[2]

أيضا من معجم أساس البلاغة وردت هذه اللفظة على أنها: ""تَيْمُ هو تَيْمُ الله أي عبدُ الله وتيَّمهُ: عبَدَهُ"

ومن المجاز: تَامَتْ فلانه قبله، وتيَّمته وهو متَّيم

وعن ابن الأعربي: تيَّمت قبله: علَّقه من التَّيْمَة وهي المفازة المظلة"[3]

يقترح ريشار تعريف الموضوع على أنّه "مبدأ تنظيمي محسوس، تصور لشيء، ثابت ينزع العالم- من حوله- إلى التشكيل والامتداد، والأهم فيه هو هذه القرابة السرية، بتعبير ما لا رميه، أي هذه الهوية الخفية الّتي تتجلى في مظاهر متنوعة". [4]

كما جاء في كتاب سعيد علوش أنّ مصطلح الموضوعاتية عند ج. ب ويبر أطلقه على الصورة الملحة والمتفردة المتواجدة في عمل كاتب ما، من هنا كانت ملاحقة الموضوعاتية، من منظور التماثل الّذي يحيل في الإبداع الأدبي على حدث، ينتج من

---

(1) بطرس البستاني، قطر المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1995م، ص53.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ص69.

(3) ليلى إحمياني، إشكالية المصطلح وامتدادته، الحوار المتمدن موبايل، 2014/07/07 الموقع الإلكتروني: http//m.ahewar.org.

(4) سعيد علوش، النّقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1989، الرباط، ص62-56.

جراء صدمة تعود إلى شباب- إن لم نقل طفولة- الأديب المبدع، أو من خلال إلحاح اللاوعي على توليد صور معينة بأساليب مختلفة. [1]

الموضوع مبدأ تنظيمي محسوس، أو ديناميكية داخلية، أو شيء ثابت يسمح للعالم حوله بالتشكل والامتداد، والمقطة المهمة في هذا المبدأ تكمن في تلك القرابة السرية، في ذلك التطابق الخفي والّذي يراد الكشف عنه تحت أستار عديدة.[2]

ومن النّقاد العرب الّذين عرفوا الموضوعاتية عبد الكريم حسن حين رأى "أنّه يبحث في الموضوع، وهو بحث يهدف إلى اكتشاف السجل الكامل للموضوعات الشعرية".[3]

أما سعيد علوش فيرى "أنّ منهج الموضوعاتي بحث عن النقاط الأساسية الّتي يتكون منها العمل الأدبي، ومقاربة الكشف عن هذه النقاط الحساسة الّتي تجعلنا نلمس تحولاتها وندرك روابطها في انتقالها من مستوى تجربة معينة إلى أخرى شاسعة"[4]، يرتكز تعريفه على تتبع النقاط الّتي يتكون منها العمل الأدبي ومراقبة التحولات الطارئة عليه.

أما محمد عزام فقام بالتمييز بين النّقد الموضوعي والنّقد الموضوعاتي، فالنقد الموضوعي هو منهج نقدي يرى أنّ المناهج النّقدية الّتي تدرس الأدب من خارجه معتمدة على العلوم الأخرى مثل: التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس لا تصل إلى حكم حقيقي على الأدب، وأن على النّقد أن يأخذ بدراسة الكلمات فيبدأ بالنص وينتهي به، ولا علاقة له بما قبله...، أما النّقد الموضوعاتي فيبحث عن التيمة أو الموضوع الّتي تشكل الكاتب وتظهر في كتاباته...".[5]

---

(1) عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص38.

(2) يوسف وغليسي، مناهج النّقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2007، ص151.

(3) عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي النظرية والتطبيق، ط1، 1990، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ص120.

(4) سعيد علوش، النّقد الموضوعاتي، ص12-13.

(5) محمد عزام، المنهج الموضوعي في النّقد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1999، ص165.

أما النتيجة الّتي نخلص لها من تجميع التعريفات السابقة للموضوع، الّتي وردت عند العرب أو عند الغرب، أنّه لا يمكن تحديد مفهوم "الموضوعاتية" بكل دقة ونجاعة نظرا لتعدد مدلولاته الاشتقاقية والاصطلاحية وتذبذب مفاهيمه من دارس لآخر حسب الرؤى الخاصة بكل ناقد.

المبحث الثاني: المنهج الموضوعاتي المزايا والسلبيات

1- مزايا النّقد الموضوعاتي:

للنقد الموضوعاتي عدة مزايا لا يمكن تجاهلها منها:

1- انفتاحه على المناهج النّقدية الأخرى بسبب مرونته، وتمتعه بالحرية في الوصف والقراءة، حيث استفاد من علم النفس، والنّقد الأدبي، والتحليل الفرويدي... أي أن النّقد الموضوعاتي ليس منغلقا على نفسه، بل يستعين بجميع التصورات المنهجية الأخرى. [1]

2- يعتمد على التصنيف المقولاتي، أو ما يسمى بنقد الأفكار، وتحديد "التيمات" الكبرى أو الفرعية، أو استخلاص المشكلات والمسائل الهامة في الأعمال الأدبيّة، رغبة في دراستها دراسة علمية موضوعية أو دراسة شاعرية مرنة، فقد درس غاستون باشلار- مثلا- علاقة الإنسان بالطبيعة من خلال صورة الماء، والتراب والهواء. [2]

3- يهدف النّقد الموضوعاتي إلى تحديد رؤية الأديب للعالم، انطلاقا من التحليل الداخلي المحايث للنسق النّصي دون إهمال العالم التاريخي الّذي ساهم في إفراز النتاج الأدبي، ويستند المنهج الموضوعاتي كذلك إلى مبدأ الحرية في التنظير والتطبيق معا، مما يساعده على الانفتاح على المناهج والنظريات الأدبيّة والنّقدية والفلسفية لاستيعابها، وإدماجها قصد تحقيق الفعالية أثناء القراءة والتحليل.[3]

4- غلبة الطابع السردي (الشرح والعرض) على الطابع المنطقي، إلا في محاولات محدودة مرتبطة بأنساق "تيماتية" منطقية مبنية على مقدمات ونتائج محددة. [4]

---

[1] جميل حمداوي، المقاربة الموضوعاتية، مكتبة المثقف، ط1، 2015، ص37.

[2] المرجع نفسه، ص38.

[3] المرجع نفسه، ص40.

[4] المرجع نفسه، ص41.

5- ولهذا المنهج أهمية تربوية بيداغوجية، حيث يساعد هذا المنهج المتعلمين عمليا على مقاربة النصوص الأدبيّة والآثار الإبداعية بشكل فردي أو جماعي، برصد المضامين والتيمات الموضوعية المحورية وتحديد المفاهيم الدلالية المتكررة الّتي تتحكم في نسيج النّص أو العمل الأدبي. [1]

2- سلبيات النّقد الموضوعاتي:

من أهم سلبيات النّقد الموضوعاتي:

1- السقوط في الدراسة الموضوعية السطحية الفجة، وإهمال الشكل عن الموضوعاتيين الذاتيين، والميل إلى التأويل الفلسفي والنفسي والّذي يتعارض مع خصوصيات العمل الأدبي ووظيفته الجمالية الشعرية. [2]

2- انطلاق أغلب النّقاد الموضوعاتيين من شعرية غاستون باشلار وقراءاته التخييلية للأشياء والصور والأفضية باعتبارها مرجعية رئيسية لأعمالهم القرائية، لذا يذهب الاهتمام الموضوعاتي على المضمون والتيمات والصور المتكررة والمتواترة على حساب التقنيات التعبيرية والأسلوبية واللّسانية والصيغ الجمالية الفنية والشكلية. [3]

3- النّقد الموضوعاتي هو نقد موضوعي وشاعري أكثر مما هو تقني وشكلي، إذ همه الوحيد اقتناصه للتيمات والمقصديات الكبرى المهيمنة في النصوص والموجهة لتصور الكاتب داخل إبداعه.

---

(1) جميل حمداوي، المقاربة الموضوعاتية، ص41.

(2) المرجع نفسه، ص41.

(3) المرجع نفسه، ص42.

4- صعوبة وجود الوحدة الموضوعية والعضوية والمنهجية في كتابات الدارسين والنّقاد الموضوعاتيين، لأنّ الخيط الرابط بين هذه المقاربات يعتمد على الحدس الصوفي، والاستبطان الجواني، والتخلي عن لغة المنطق والتقنين. [1]

5- المنهج الموضوعاتي هو منهج قاصر لا يحيط بجميع الجوانب الّتي يتكون منها الأدب، كالتركيز -مثلا- على دراسة العلامات النصية، الاهتمام بالمتلقي واستقراء العلامات اللّسانية والبلاغية والتداولية...

[1] جميل حمداوي، المقاربة الموضوعاتية، ص42.

المبحث الثالث: المنهج الموضوعاتي "النّقد الموضوعاتي":

نشأ المنهج الموضوعاتي في أحضان الفلسفة الظواهرية، وتغذى على أفكار الفيلسوف الفرنسي "غاستون باشلار" الّذي يشكل المصدر النظري لمفهوم ومصطلح النّقد الموضوعاتي ونما وتطور ابتداء من ستينيات القرن العشرين في بيئة نقدية فرنسية أساسا وحملت لواءه جماعة نقدية سمت نفسها (مدرسة جنيف)، آمنة بأنّ النّص الأدبي عالم تخيلي مستقل عن الواقع المعيش ويجسد وعي الناص. [1]

فدراسة المنهج الموضوعاتي ليست دراسة منتقاة أو مبعثرة، وإنّما هي محاولة اكتشاف شبكة العلاقات الموضوعية الّتي تنتظم داخلها وتتمفصل هذه الموضوعات منطلقة من الجذور اللغوية للشبكة المعجمية الّتي نسيجها النصوص، لأنّه عن طريق الحقائق اللغوية تنتظم الموضوعات، فهو بنيوي لأنّه يكشف البنية الّتي تتشابك فيها الموضوعات الشعرية.[2]

ويبنى النّقد الموضوعاتي على استخلاص الفكرة العامة أو الرسالة المهيمنة أو الرهان المقصدي أو الدلالة المهيمنة أو البنية الدالة الّتي تتجلى في النّص أو العمل الأدبي عبر النسق البنيوي وشبكاته التعبيرية، تميطها، وتوسيعا، أو اختصارا أو تكثيفا. [3]

ويرى "سعيد علوش" من خلال كتابه "النّقد الموضوعاتي" أنّ "المنهج الموضوعاتي بحث عن النقاط الأساسية الّتي يتكون منها العمل الأدبي ومقاربة الكشف عن هذه النقاط الحساسة الّتي تجعلنا نلمس تحولاتها ندرك روابطها في انتقالها من مستوى تجربة معينة إلى أخرى شائعة...". [4]

---

[1] يوسف وغليسي، مناهج النّقد الأدبي، ص147.

[2] المرجع نفسه، ص161.

[3] جميل حمداوي، المقاربة النّقدية الموضوعاتية، ص07.

[4] سعيد علوش، النّقد الموضوعاتي، ص07.

ويرى عبد الكريم حسن أنّ النّقد الموضوعاتي يبنى على التأويل، فهو يرتكز قبل ذلك على الفهم ووصف بنيات العمل الأدبي، دون ادعاء بإمكانية تفسيره وشرحه، لأنّ الناقد أو القارئ، في وضعية تتسم بالمرونة والحرية. [1]

ويتبين لنا مما سلف ذكره، أنّ المنهج الموضوعاتي "النّقد الموضوعاتي" هو أكثر المناهج النّقدية مرونة وحرية وانفتاحا على المناهج النّقدية الفلسفية الأخرى، وهو منهج ير على المدلولات الّتي يحملها النّص والبحث عن ما يجعل النّص أكثر اتساقا وانسجاما من خلال تتبع النقاط الحساسة الّتي يتكون منها العمل الأدبي ومحاولة مراقبة التحولات الشائعة عليه، ويرتكز هذا المنهج أيضا على القراءة كلية الحاملة للعمل الأدبي.

[1] سعيد علوش، النّقد الموضوعاتي، ص21.

المبحث الرابع: آليات إجرائية في المنهج أو النّقد الموضوعاتي:

يرتكز النّقد الموضوعاتي على مجموعة من المبادئ التنظيمية والركائز المنهجية، الّتي تتحكم في العمل الأدبي، ويمكن حصرها فيما يلي:

- قراءة النّص قراءة شاعرية عميقة ومنفتحة.
- الانتقال من القراءة الصغرى إلى القراءة الكبرى.
- تحديد مكونات النص المناصية والمرجعية.
- التأرجح بين القراءة الذاتية والقراءة الموضوعية.
- البحث عن التيمات الأساسية والبنيات الدلالية المحورية والموضوعات المتكررة والصور المفصلة في النص الإبداعي.
- جرد هذه التيمات والصور المتواترة في سياقها النصي والذهني والجمالي.
- تشغيل المستوى الدلالي عن طريق رصد الحقول الدلالية وإحصاء الكلمات المعجمية والمفردات المتواترة.
- توسيع الشبكة الدلالية لهذه التيمات المرصودة دلاليا فهما وتفسيرا.
- رصد الأفعال المحركة والمولدة للمعاني في سياقاتها الصوتية والإيقاعية والصرفية والتركيبية والتداولية مع دراسة دلالاتها الحرفية والمجازية واستنطاقها فهما وتأويلا.
- الانتقال من الداخل النصي إلى التأويل الخارجي والعكس صحيح أيضا.
- دراسة الموضوع المعطى من أجل البلوغ إلى الجانب الحسي في الأثر الأدبي أو الوصول إلى البنية الموضوعية المهيمنة للعمل الإبداعي.
- حصر العناصر التي تتكرر بكثرة وبشكل لافت في نسيج العمل الأدبي.
- تحليل العناصر التي تم حصرها ورصدها اطرادا وتواترا (الاهتمام بالمعنى السياقي).
- المقارنة بين الظواهر الدلالية والمعجمية والبلاغية تآلفا واختلافا.

- تجنب التزيد في التحليل الموضوعاتي واللجوء إلى الإسقاط القسري المتعسف، وعدم تقويل النص ما لم يقله.
- جمع النتائج التي تم تحليلها لقراءتها تفسيرا وتأويلا واستنتاجا. [1]
- بناء قالب نموذجي مجرد يستطيع أن يستوعب داخله تفاصيل العمل الأدبي المدروس.
- ربط الدلالات الواعية وغير الواعية بصورة المبدع الذاتية والموضوعية. [2]
- ونستنتج من كلّ هذا أنّ النّقد الموضوعاتي يعتمد على خطوتين أساسيتين هما: الفهم الداخلي للنّص المقروء، بكشف بنيته المهيمنة الدالة معجميا وتركيبيا ولسانيا وشاعريا، وتأويله اعتمادا على مستويات معرفية مرجعية مساعدة بإضاءة الفكرة المحورية وتفسيرها.

---

[1] جميل حمداوي، المقاربة النّقدية الموضوعاتية، ص11-12.

[2] المرجع نفسه، ص13.

المبحث الخامس: أعلام النّقد الموضوعاتي:

شهد تاريخ النّقد المعاصر بفرنسا في الستينيات سيطرة الاهتمام الموضوعاتي، ومن أهم رواد هذا التوجه النقدي الجديد، نجد:

☒غاستون باشلار:

هو فيلسوف فرنسي (1884م-1962م) يمثل الأب الروحي للنقد الموضوعاتي مع أنه ليس بالناقد الأدبي فهو فيلسوف وابستمولوجي، إلا أن اهتمامه بعناصر الكون الأربعة (الماء والهواء، التراب والنار) وتأليفه لأعمال شاعرية مهمة مثل (التخيل الشاعري، لهيب شمعة، شاعرية الفضاء...) جعلته يدخل مجال الأدب.

يستعين النقد الموضوعاتي الباشلاري بالتحليل النفسي لكنه لا يتجه إلى منطقة اللاوعي بل يتجه إلى أعمق منطقة من مناطق الوعي، أي مصدر الإبداع الخام لدى كاتب ما، كما يهتم بالصور الشعرية الذي يعتبرها مصدر الكينونة والنتاج الخالص لخيال مطلق.[1]

☒جان بول ويبر ناقد

ناقد فرنسي عني بالنقد الموضوعاتي فوضع في هذا المجال عدداً من الكتب، أهمها: بسيكولوجيا الفن، وتكوين الأثر الشعري الذي صدر سنة 1961، وكتابه استندال: البنيات الموضوعاتية للأثر والقدر سنة 1969، حتى يكاد جان بول ويبر يكون بطل الموضوعاتية الأصيل.

اعتمد ويبر في النقد الموضوعاتي على فكرة الواحدية أو النواة أو الخلية أو الذرة الواحدة، التي منها ينطلق تكون أي شيء مادي في هذا الكون، إذن، من منظور ويبر هناك موضوعاتية واحدة تهيمن على النص الأدبي، أما الموضوعاتيات الأخرى فهي

---

[1] ينظر: محمد بلوحي، النّقد الموضوعاتي "الأسس والمفاهيم"، مؤسسة واحة الدرر، 2011، ص16.

ذكريات تنبثق من الموضوعاتية الرئيسية، وهي أقل أهمية لكنها توجد لتكمل وتوضح الجوانب الثانوية من النص الأدبي. [1]

☒جان بيير ريشار:

ناقد فرنسي، تعد تجربته في النقد الموضوعاتي تجربة طويلة ومهمة جداً، إذ يحسب جهده في تطوير هذا المنهج حيث استفاد من كتابات وأطروحات غاستون باشلار وجان بول سارتر وآخرون، وتكمن أهمية النقد الموضوعاتي عند ريشار في ظهور وعي نقدي غير فارغ، بل يعبر عن علائق تطبق لتحويل عالم مجسد إلى مادة الحساسية.

يتلخص المشروع النقدي عند ريشار في تركيزه على الأحاسيس حيث يسعى إلى وضع إجرائه عند المستوى الابتدائي الأكثر بساطة، أي مستوى الإحساس الصرف والشعور الخام، فبالنسبة له إذا كان "النقد هو وعي وإدراك لحالة المبدع ولشروطه الأنطولوجية، وإذا كان للأدب وظيفة أساسية هي عودة الوعي فإن النقد الموضوعاتي يصبح مباغتة لهذا الوعي، من هنا، يعتبر ريشار مؤسس النقد الموضوعاتي بحق لما أرفد به الموضوعاتية من مقولات وآليات إجرائية نقدية غاية في الأهمية. [2]

---

[1] بيتر كيرل، النّقد الموضوعاتي، 1985، تر: سعيد علوش (ضمن كتابه النّقد الموضوعاتي)، ص11.

[2] جورج بولي، مقدمة كتاب الأدب والحساسية، 1954، تر: سعيد علوش (ضمن كتابه النّقد الموضوعاتي)، ص76.

الفصل الثاني

تجليات موضوع الموت في الرواية

المبحث الأول: العتبات النّصية

المبحث الثاني: معالم الحياة والموت

المبحث الثالث: الشخصيات

المبحث الرابع: المكان

المبحث الخامس: الحدث

المبحث الأول: العتبات النّصية

1- عتبة الغلاف:

إنّ عتبة الغلاف من أهم عناصر عتبات النّص أو النّص الموازي، فهو أول ما يواجه القارئ قبل عملية القراءة والتلذذ بالنص، لأن الغلاف هو الّذي يحيط بالنص الرّوائي، ويغلفه ويحميه، ويوضح أطره الدلالية من خلال عنوان خارجي مركزي أو عبر عناوين فرعية تترجم لنا أطروحة الرّواية أو مقصديتها أو قيمتها الدلالية العامة.

وغالبا ما نجد على الغلاف الخارجي اسم الرّوائي، وعنوان روايته والجنس الإبداع، وحيثيات الطبع والنشر علاوة على اللوحات الشكلية وكلمات الناشر أو المبدع أو الناقد تزكي العمل وتثمنه إيجابا وتقويما وترويجا. [1]

ولأن الغلاف لوحة فنية جمالية تعرض نفسها، يمكننا من استعراض قيمتها تم تقسيم غلاف الرّواية إلى قسمين: الغلاف الأمامي والغلاف الخلفي.

أ- صفحة الغلاف الأمامي:

يحتوي غلاف العنوان في رواية "أعراس آمنة" على معظم المعلومات المهمة الّتي تشكل لوحة أولى للنّص المحكي، وقد كتب على غلاف الرّواية: عنوان الرواية، اسم المؤلف، دار النشر، وأهم ما فيه لوحة تتموقع في مركز هام من الغلاف.

تشير لوحة الغلاف إلى صورة امرأتين تحتضنان بعضهما البعض بحنان دافئ، إحداهن تنظر إلى القارئ باندهاش وحيرة تعلو جبينها والّتي كان يبدو على وجهها خوف من المجهول، وقد دفعني وجه هذه المرأة أن أحدق بها مرارا، فكلما أعدت النظر إليها بدا لي أنّها تكلمي وهي تتوجع ألما، فيما يبدو وجه الأخرى ملاصقا لوجه المرأة الأولى، متعلق بها، كتعلق الوليد بأمه.

---

[1] جميل حمداوي، السيموطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، مجلد 25، العدد 03، 1997، ص107.

وهذه اللوحة تحمل في دواخلها المضمون الكلي للرّواية، فاللوحة تتعالق مع النّص بشكل مباشر، إذ أنّ "آمنة" إحدى شخصيات المهمة، احتضنت "رندة" و"لميس" و"صالح" ابنها و"جمال" زوجها و"مصطفى" شقيقها، و"عزيز" حفار القبور، و"سامر" صديق "لميس" الّذي قضى شهيدا، و"أبو عنتر" الرجل المسكين الّذي قتله الاحتلال دون تهمة، حتى الشهيد الّذي سقط وتشوه وجهه ولم يعرف من هو، احتضنته وبقيت تجلس على قبره لأيام طويلة، في رمزية تعبر على مدى تآلف الشعب الفلسطيني وتماسك جبهته والتحامه العضوي بالأرض والوطن.

ب- صفحة الغلاف الخلفي:

يشكل الغلاف الخلفي واجهة الكتاب الثاني، وقد جاء الغلاف الخلفي في الرّواية يحمل تحليلا ذاتيا، فقد كتب على الغلاف كلمة للناقد الفلسطيني "محمود شقير"، حاول من خلالها أن يقدم وجهة نظره في الرّواية ومكانتها، وقيمتها النقدية، وتعليقا نقديا يلخص فكرتها ويبرز غايتها ومراميها.

ويعد رأي "محمود شقير" كمحاولة لإغراء القارئ الّذي سيتجه إليها بعد اطلاعه على واجه الغلاف الأول، فتعمل على إقناعه بالكتاب وضرورة قراءته واقتنائه، وبعد تعليقه الّذي أكد فيه على تميز وبجد "نصر الله" تميز روايته "أعراس آمنة" على باقي روايات الملهات الفلسطينية، وتعد شهادة "محمود شقير" واحدة من الشهادات الّتي ساقها نصر الله على أغلفة رواياته الأخرى ضمن سلسلة الملهاة الفلسطينية، لكن اللافت في تعليق "محمود شقير" أنّه منح "نصر الله" خلافة غسان الكنفاني في كتابة الملحمة الفلسطينية(1)، لقد وقعت على اختيار صحيح حينما قررت أن نكتب الملهاة الفلسطينية من جوانب عديدة مختلفة، ستكون بعد وقت ليس ببعيد رائدا في هذا الميدان، وستكون رواياتك المتعاقبة بمثابة

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، ط4، 2013، الغلاف الأخير من الرّواية.

ملحمة معاصرة للشعب الفلسطيني في إطار فني متجدد باستمرار... وأنا أرى أنك تكمل ما لم يستطع إكماله غسان كنفاني.

2- عتبة العنوان:

يحتل العنوان أهمية كبيرة لأنّه أوّل عتبة يمر بها القارئ، فهو الجسر الّذي يربط القارئ بالنص ويشوقه لقراءة الرواية، ففي رواية "أعراس آمنة" نجدها تتكون من ثلاث عناوين، العنوان الأكبر: الملهاة الفلسطينية، تعتبر الملهاة الفلسطينية مجموعة من الرّوايات كتبها "إبراهيم نصر الله" ورواية "أعراس آمنة" تندرج ضمن سلسلة روايات الملهاة الفلسطينية الّتي تروي قصة المأساة الفلسطينية على مر سنين عاما منذ النكبة إلى تاريخ كتابة آخر رواية ضمن المجموعة، ولقد أتى "نصر الله" بهذا المشروع الواسع لتأمل القضية الفلسطينية ورصدها على مدار الزمن.

- **سيميائية "أعراس آمنة"**: نلاحظ عنوان الرّواية الّتي نحن بصدد دراستها، خلوه من علامات الإعراب ليترك القارئ في جملة من المتاهات والقراءات، هل العنوان "أعراس آمنة" أم "أعراس آمنة"، هل أراد أن يحدثنا عن أعراس تقام في مكان آمن بعيدا عن حالة الخوف والرعب وعلى أي شيء يمكن أن يعكر صفاء الزواج، أم أراد أن يسرد لنا أعراس فتاة اسمها آمنة، يشير هذا العنوان إلى جملة من التساؤلات الأولية، ويفتح المتلقي شرفات التأويل المطلق على دلالاته المكنة، فالعنوان هنا يشتمل على مكونين: الأول "عرس" والثاني "آمنة" وهذا المكونان تربط بينهما علاقة الإضافة الّتي تضيق الاستعمال الواسع للكلمة الثانية، وتجعل إضافتها إلى الأول إضافة تجعلهما في تركيب مؤلف من جزأين، لا يكتمل المعنى العام لهذا التركيب إلا بالتحامهما معا، إذن نحن أمام تركيب لا تستطيع أن نحلل الجزء الأول منه بمنأى عن الجزء الثاني الّذي يقوم عليه أساس التركيب لفظا ومعنًا. [1]

---

[1] موفق مقدادي وعبد الله الخطيب، العتبات في رواية "أعراس آمنة تحت شمس الضحى"، مجلة المشكلة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج01، ع02، 2014، ص8.

- **عرس:** ترتبط كلمة "عرس" بمعنى مغلق في اللغة العربيّة، فالعرس هو اقتران بين ذكر وأنثى من جنس الإنسان، والعرس أيضا إحياء للعلاقات الاجتماعية بين الناس، ابتهاج بميلاد أسرة صغيرة، فالعرس كدليل اجتماعي نجده يتكرر باستمرار لتحقيق أهداف دينية، والعرس جملة من العادات والتقاليد الّتي ستحضرها الجماعة كلّ مرة في طقوس معينة وسحرية مخصوصة لأجل الديناميكية الجماعية وفق إجازة دينية لهذا الفعل الاجتماعي المميز.

إطلاق "عرس الشهيد" على سرداق العزاء الّذي يقام فيه في ثيمة تساعد على تجاوز المصاب الّذي يلحق بأهل البيت.

- **آمنة:** استخدام "نصر الله" اسم أحد أبطال الرّواية عنوانا للنّص لكي يظلل القارئ في ضبط العنوان ولا يفككه من إدراك المعنى الحقيقي للعنوان إلا بعد قراءته للنّص كاملا لمعرفة المغزى من اسم "آمنة"، ولكن توجد مفارقة في العنوان، فما سماه "نصر الله" أعراسا هي في الحقيقة مآتم أقامتها "آمنة" في قلبها لكثير من شخصيات الرّواية الّتي افتقدتهم عند صراعهم مع الاحتلال الصهيوني، ومن بين الشّخصيات ابنها "صالح" الّتي كانت تنوي إقامة عرس ابنها على "لميس"، اللذين افتقدتهما في غارتين إسرائيليتين على مدينة غزة، كما افتقدت الكثير من أحبائها وجيرانها.

وبعد هذا نصل إلى العنوان الثاني وهو "رواية"، وهنا يحاول الكاتب من خلال كتابة كلمة "رواية" على الغلاف تحديد جنس العمل الأدبي، وتعد أيضا مسلكا من بين المسالك الأولى في عملية الولوج في نص ما، ونلاحظ أنّ "رواية" جاءت تحت العنوان لإبراز ولفت انتباه القارئ إلى جنس العمل من خلال الغلاف.

3- اسم الكاتب "المؤلف":

تحمل عتبة "اسم المؤلف" دلالة كبيرة في إضاءة النّص وتوجيه بالقارئ وحضور اسم الكاتب أو الرّوائي يزكي العمل ويعطيه مشروعيته للتوثيق والترويج، ويعد اسم المؤلف علامة ذات حمولة سيميائية، ويكون أيضا إثبات هوية الكاتب المبدع لروايته ويحقق ملكيته الفطرية والأدبية له.

في رواية "أعراس آمنة" يظهر اسم المؤلف أعلى الغلاف، وفوق عنوان الرواية، وهذه الفوقية تشير إلى هيمنة "نصر الله" على نصه، واعتداده بذاته على حساب النّص.

4- الإهداء:

وهو عتبة من عتبات الولوج إلى النص، لأنّ الإهداء يربط بين القارئ والمؤلف لتنشأ تلك العلاقة الحميمة الجميلة الّتي تقام على الشكر والعرفان وتبادل المشاعر من خلال النّص، ونلاحظ أنّ رواية "أعراس آمنة" خلى من الإهداء، «هذا الخلو له دلالته التأويلية الصادمة، فإما أنّ "نصر الله" لا يرى أحدا يستحق إهداءه الرّواية لأنّها تروي جدلية "الحياة والموت"، وإما أنّ الرّواية ليست ملكا له ليهديها لهم، فهو يرصد ملحمة الشعب الفلسطيني الّذي هــو بحق صاحب هذه الملحمة ومالكها الوحيد».[1]

5- عتبة الاستهلال:

اهتم الكتاب بتصديرات واستهلالات الكتاب، لأنّها أوّل ما يصادف القارئ، فهو عتبة تأتي في أوّل النّص أو على رأس كلّ فصل، في شكل أبيات شعرية أو مقطع نثري، فتكون بذلك بمثابة مقدمة أو فاتحة نصية للرّواية، «تشير الجملة الافتتاحية إلى تأسيس لحظة البناء، ومن ثمة فهي غما أن تؤسس لكيان جمالي ولغوي يغري المتلقي ويجذبه للمتابعة، أو أن تصده على أن يستمر في القراءة، وهي استراتيجية يقصد منها الرّوائي

---

[1] موفق مقدادي وعبد الله الخطيب، العتبات في رواية أعراس آمنة تحت شمس الضحى، 2013، ص10.

توجيه المتلقي إلى طريقة يقترحها في القراءة، ويتوقع أن يقابله عناية ما من القارئ قبل العبور إلى مسالك النّص التحليلية، وهو أمر يراد منه التركيز، وشد الأنظار ومن ثم تؤسس لوظيفة إغرائية أو جاذبة قصد التأثير في المتلقي ليتابع السرد».[1]

- الاستهلال في الرّواية:

إنّ تحديد بداية أي نص سردي هي مسألة معقدة جدا، ومن أعسر ما يواجه النّقاد في دراسة البدايات، لذا فإنّنا نجد بعض النّقاد يذهب إلى أنّ تحديد نقطة بداية النّص تبدأ عند الانتهاء من قراءة النّص.

ففي رواية "أعراس آمنة" نجدها تبدأ بـ:

كانت واحدة من الليالي الثقيلة،

لا أستطيع وصفها بأقل من ذلك..

خطر لي أن أقوم بكتابة تحقيق صحفي عنوانه (من يستطيع النوم؟) ولكنني لم أفعل، فقد كان يكفي أن أقوم بكتابة هواجسي الليلية، يوما بعد يوم، لأدرك ما الذي يحدث في "غزة".

كانت واحدة من لليالي لثقيلة..

لست أدري في أي وقت استطعت إغلاق عيني، رغم أنني بت أشك تماما، فيما إذا كنت أغلقهما أصلا حينما أنام.

من يستطيع النوم؟[2]

بدأ النّص بالتوصيف المحتمل بخطر الليلة وصعوبة مجرياتها، نحا نحوا تلخيصيا مركزا لوصف الحال السردية الّتي يتمخض عنها جو الرّواية.

نلاحظ أن "نصر الله" بدأ روايته على لسان بطلة الرّواية بسبب قوة الأحداث في الرّواية، بدا نصر الله في هذه الجمل متوترا مضطربا خائفا من مجريات أحداث الرّواية،

(1) العتبات في رواية أعراس آمنة تحت شمس الضحى، موفق مقدادي وعبد الله الخطيب، ص12.

(2) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص05.

فلجأ إلى بطلة الرّواية لتصف الليلة بما يشعر هو من القلق، هذا الأرق الّذي صاحب جملة الاستهلال من شأنه أن يصعد فعالية التوتر السردي، الّذي من شانه أن يحرض القارئ على مواصلة القراءة للمنجز السردي، ويندمج في جوه منذ العتبة الأولى.

نلاحظ أنّ "نصر الله" «استهل روايته بمجموعة من الأفعال منها: لا أستطيع، لم أفعل، لست أدري، أشك تماما، من يستطيع، ولقد ارتبطت هذه الأفعال بالتردد والجزع والخوف والشك، فجملة البداية تضمنت أفعال تشعر القارئ أنّ الحدث في ثنايا السرد فيه خوف من الواقع وعدم الفعالية»[(1)]، ولقد اقترنت الجمل الفعلية في الرّواية العربيّة بالسرد.

كانت واحدة من الليالي الثقيلة/ لا أستطيع وصفها بأقل من ذلك...

توحي هذه الجمل بأن ثمة أحداثا مخيفة ستقع في فصول هذا العمل مؤكدا إياها في هذه الفرضية وهذا التصور المبدئي، وأشار إلى الزمن الّذي ستكون فيه الأحداث، يوحي الفعل "لا أستطيع" في بداية الجملة الثانية إلى بدأ سرد الأحداث القادمة من الرّواية.

6- عتبة الإقفال "النهايات":

يعتبرها الكاتب على أنّها عتبة الخروج من النص، وليست بالضرورة علامة نهاية اشتغال النص، فقد يولد النّص بعد نهاية فعل القراءة عند المتلقي آفاقا أكثر مما ولدتها الأحداث نفسها، وهذا يقودنا إلى الاعتقاد بأنّ النصوص لها بدايات لكن ليس لها نهايات بل خواتيم تغلف النّص ولا تنجح أبدا في إغلاق اشتغاله في أذهان القراء.

في "أعراس آمنة" جاءت الخاتمة لوحة مستقلة ميزها "نصر الله"، وأن فصلها عن النّص السردي بعلامات وأفرادها في صفحة ونصف الصفحة، وقد جاءت الخاتمة حزينة غاب فيها الحوار من الطرف الثاني:

- «الشاي جاهز يا خالتي آمنة

- ....

---

(1) موفق مقدادي وعبد الله الخطيب، العتبات في رواية "أعراس آمنة تحت شمس الضحى"، ص12.

– غلبت خالي؟ إلا ما فيها غلبة، المهم ديري بالك على نادية...

– ...

– هممتني

– وأنا؟

– مثلما قلت لك في المرة الأخيرة

– لست مصدقة حتى الآن؟».[1]

هذا الصمت الّذي صاحب الحوار يرخي بضلاله على حالة الصدمة الّتي تعيشها "آمنة" وعلى أعراسها التغير آمنة الّتي تقيمها لعرسانها في قلبها، وهو ما يتعالق مع النّص.

7- الكتابة الأفقية والعمودية:

وضف "نصر الله" الكتابة الأفقية في الرّواية بشكل كامل إلا في أجزاء يسيرة من السرد الحواري، لاسيما في الخاتمة، حتى سيطرت الكتابة الأفقية في الرّواية على اللحمة السردية وأصبحت جزءا لا يتجزأ منها.

8- صفحة المؤلف:

تعد صفحة "المؤلف" من العتبات الّتي تنسج بها العتبات، وتكمن أهميتها في كونها تمثل قائمة شخصية للمؤلف، وتكشف من ثمة عن القيمة الأدبيّة ورصيده الإبداعي في مجال الكتابة والتأليف، ويلاحظ في رواية "أعراس آمنة" أنّ صفحة المؤلف جاءت قبل الغلاف الأخير، وقد أخذت رقما متسلسلا متمما لأرقام الرواية، وكأنها جزء من النّص السردي، ولقد ورد في الصفحة تعريف بالكاتب ومولده بعمان من أبوين فلسطينيين لافقة إلى أنّه جزء من القضية الفلسطينية، ثم قدمت مجموعة امن أعماله في الشعر والرّواية

[1] إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص137-138.

والكتب والمعارض الّتي شارك فيها والجوائز الّتي نالها وتضمن بعض الأعمال الّتي ترجمت إلى الإنجليزية والإيطالية ولغات أخرى، وجاء كلّ هذا لتحث القارئ ودفعه إلى اقتناء أعمال المبدع.

المبحث الثاني: معالم الحياة والموت

1- معالم الحياة:

لقد اهتم الراوي الفلسطيني "نصر الله" بتتبع معالم الحياة من بين زخات الرصاص كي يعطي للحياة معنى صعبا، ويجعل منه الأعجوبة الّتي يعيشها المواطن والمعجزة الّتي تحققت له رغم ظروف الاحتلال والتشريد.

ومن تيمات الحياة الّتي أوردها "نصر الله" نجد: الأرض والحياة والحرية، الشهادة.

أ- الأرض:

لقد تناولت الرّواية منطقة غزة أيام الانتفاضة الثانية، حيث يسرد "نصر الله" الحياة تحت الاحتلال والمأساة الفلسطينية من قصف ودمار، وترقب للموت، والرّواية بذلك تطفح بمشاهدة ساخرة من الواقع المؤلم، من مبدأ التمسك بالحياة والفرح، فـ "نصر الله" أعطى مثالا بزوج آمنة جمال الّذي يعتبر من رجال فلسطين المقاومين والّذي عاش مرحلة تشتت وعذاب مستمر لتحقيق النصر والرجوع للواقع الطبيعي والعيش مع الأهل ومع الزوجة والأبناء:

- «ما الذي سيقوله الناس لو سمعوني؟

- أعرف، كنا نسترق لقاءات زواجنا، كما لم نسترق لقاءات حبنا، ترسل إلى إشارة صغيرة تقول لي فيها أخرجي من البيت فقط، وسيري في أي اتجاه تريدين، سأختار اللحظة التي نلتقي فيها.

- كنت أمشي وأحس أنك "غزة" بأكملها، من شالها لجنوبها، ومن شرقها لغربها.

- أسألك ما الذي يحدث لنا؟ زوجة وتواعد زوجها؟!

- فتقول لي: صدقي أو لا تصدقي، هذه أفضل متعة في حياة التخفي؟ تعرفين، يشعر الإنسان بقيمة اللقاء أكثر.

– وأقول لك: ماذا تعني؟ هل كنت تخدعني أيام الحب؟

– لا، لم أكن أخدعك، ولكن في عتمة التخفي هذه، هناك نقطة ضوء حين تنير أحس بأن للعالم معنى آخر، غير هذا البؤس.

– كنت تذهب بعيدا بي، داخل أزقة طويلة، أماكن لم أكن أعرف أنها موجودة، وحين أقول لك تبالغ في احتياطاتك الأمنية؟

– تقول لي، ليس احتياطاتي الأمنية، بل احتياطاتي الزوجية!». [1]

– «أعرف أنني أبالغ، ولكن هذه البالغة لا تدل إلا على شيء واحد، أننا حرمنا من العيش معا، تعني أننا كنا نحتاج لبعضنا البعض أكثر».[2]

يسرد لنا "نصر الله" معاناة المبحوث عنهم من طرف المحتل وابتعادهم عن عائلاتهم من أجل الأرض والوطن.

لقد عرف "نصر الله" بكتاباته عن فلسطين والمقاومة لأجل الحفاظ على الذاكرة الحاضرة، ففلسطين بحاجة لمن يدون ما تعيشه من أحداث ومقاومة ضد المحتل، ولقد جعل من شخصية "رندة" المدونة الّتي تدون الأحداث الّتي تدور في غزة من قصف ومعارك.

«منذ ذلك الشجار التاريخي! قررت أن أكتب ما أراه، وقد ألقي به ذات يوم بين يدي كاتب، أو أفتش عن قبر غسان كنفاني وأقول له قم واكتب هذه الحكايات، الحكايات اليتيمة الّتي لا يكتبها أحد. فالحكاية لتي ا نكتبها، حكايتنا التي لا نكتبها، أتعرف ما الذي يكون مصيرها؟ اسمح لي يا غسان، أن أسألك، أسألك من قلبي، فأمامك يمكن أن أصرخ أو

---

[1] إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص66.

[2] المصدر نفسه، ص70.

أجن وألا أحس بإحراج، لأنني أحدثك أنت، لأنك منا؟ هل تعرف ما مصير الحكايات التي لا نكتبها؟.....إنّها تصبح ملكا لأعدائنا».(1)

ب- الحب:

لم ينحصر اهتمام الكاتب "إبراهيم نصر الله" في رصد ظاهرة الحب بين الرجل والمرأة داخل الأسرة فحسب، بل كان له اهتمام بتصوير حدود هذه العلاقة إلى خارج الأسرة أيضا، فرصد أنواعه وتتبع أشكاله ومستوياته والمواقف الّتي تتم عنها والقيم الّتي تطرحها، معبرين عن ذلك عن رؤاهم الفكرية والاجتماعية والسياسية والفنية.

لقد اختار "نصر الله" مواطنين عاديين ليقعوا في الحب لإعطائهم بذرة أمل وحياة في حقل هذا الحب، لأنّ حياتهم مملوءة بالخطر.

وفي رواية "أعراس آمنة" تظهر علاقة الحب بين أبناء غزة بصورة عذبة، وهي تشمل معظم فئات المجتمع والأسرة، وتضمنت الرّواية عدة علاقات منها علاقة "رندة" و"آمنة" الّتي بدأت منذ أن طرقت باباها لأول مرة بحثا عن بيت للإيجار، فلم تجد سوى البيت المجاور معروضا للبيع، وأصبحت فيما بعد جارتهم الّتي لا يفصل بينها وبينهم سوى نافذة تحولت فيما بعد إلى باب.

ومن بين العلاقات البارزة علاقة آمنة بزوجها جمال الّذي عبر الحدود بين مصر وفلسطين في وسط نعش بسبب غلق الحدود من طرف المحتل، ليفي بوعده لآمنة بالزواج بها رغم صعوبة الأمر.

- «قلت لي لقد ألهمتك لفكرة، ولذا، تسللت إلي داخل نعش! وكان الجميع يبكون عند الحاجز، وهم يحيطون بك، ولكن ليس حزنا، بل خوفا عليك أيضا».(2)

---

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص63.

(2) المصدر نفسه، ص46.

وصالح الّذي كبر وكبر حبه لـ "لميس" رغم الفارق السني بينهما، ولميس الّتي كانت متعلقة بجارها "سامر" منذ الصغر والّذي استشهد في غارة من غارات المحتل الإسرائيلي، و"آمنة" الّتي تعلقت بحفار القبور "عزيز" الولد الهادئ الشجاع الّتي كانت "آمنة" تمر عليه كلّ صباح لتعرف أحواله لأنّه لا يغادر المقبرة إلا أحيانا لكثرة الشهداء.

ولكن في النهاية توصلنا إلى الفراق بين معظم المحبين، إلا أنّ الحب يبقى عاملا روحيا لا ينقلب من القلوب المشرقة الّتي ترى السعادة في أن يجمعها الوطن، حتى لو كان أحدهما فوق الأرض والآخر تحتها.

- «انا أعرف كيف تصبح الحياة صعبة ولكنها لن تكون مستحيلة ما دمنا معا يا صالح».[1]

ولقد تطرقت رندة في مذكراتها إلى الحرب في غزة، ووثقت قصص الحب والشهادة فيها، فختمت مذكراتها بقول الجدة لها:

- «في هذه الأوراق من الحياة - رغم كل الموت الموجود فيها - ما يكفي لأن يجعلك تنفض الموت عنك، وتعود للكتابة من جديد!».[2]

ثم تكلمها جدتها عن المحبين اللذين تندلع الحياة في صدورهم بمجرد أن التقن أرواحهم معا.

- «ألم أقل لك إن الذين يحبون بعضهم البعض يتحولون إلى طيور صغيرة؟!

- لا، لم تقولي هذا الكلام عمن يحبون بعضهم بعضا، قلتيه عن أولئك الذين يستشهدون صغارا».[3]

---

[1] إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص69.

[2] المصدر نفسه، ص69.

[3] المصدر نفسه، ص80.

وتختم رندة مذكراتها بعد أن أصبحت وحيدة مع آمنة، وقد استشهدت أمها وأختها وحببها وزوج آمنة والكثيرون من أبناء الحارة ومشاهد البؤس والدمار والموت تحاول أن تنفض الغبار وتنتشل الأمل والحياة والنور من وسط بالحزن بقولها:

– «أمس، أحسست بأن الليل كان مضيئا، خرجت إلى السطح، ولم أكن خائفة، وحين نظرت، لم أصدق عيني، رأيت الناس في الشوارع مثل قناديل الليل، كانوا حزينين نعم، ولكنهم كانوا مثل قناديل الليل، وكنت أنا نفسي مضيئة وحزينة. تعرفين، خالتي، حين لم نستطع الوصول لأفراحنا المضيئة، يبدو أن حزننا، هو الّذي أصبح مضيئا، وإلا لكنا انطفأنا كما تقول جدتي منذ مائة عام ».[1]

في روايتنا هذه توحد الحب مع الآلام والمعاناة لدى أبناء الجرح الواحد فيشع الجميع بالسكينة والرضا وتتألف القلوب والمشاعر في إيقاع إنساني واحد، فرندة تحس الآخرين، وتحبهم وتحيل هذا الحب إلى مبعث جديد للحياة، رغم الفراق ووحشة الشهداء.

جـ- الحرية:

لقد أشبع "إبراهيم نصر الله" روايته بالحرية في عدة مواطن، ولقد أظهر الحرية بمعاني مختلفة وكيف أن البطل الفلسطيني يستشهد من اجلها، وينزف دمه وحياته ويتخلى عن سعادته في سبيل نيلها، ولقد وصف الشهداء بأنّهم طيور، لهذا السبب: «أما الشهداء فهم طيور الدنيا الجميلة، أتعرف لماذا؟ لأنهم أكثر الناس حبا للحرية، تظل تناديهم وتناديهم، يجرون وراءها، ولأنها تحبهم تواصل اللعب معهم، تعلو وتهبط فيصعدون خلفها وينزلون، يفتشون عنها في كل مكان، وهم لا يعرفون أنها مختبئة في أجسادهم».[2]

---

[1] إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص138.

[2] المصدر نفسه، ص41.

هنا يرى الراوي أنّ الحرية مدفونة في أجساد الشهداء، فهي جينات يتوارثونها معهم أينما ذهبوا.

وتعد الحرية أكثر شيء يستهدفه المحتل الإسرائيلي لنها تعتبر أكثر شيء يبحث عنه الفلسطيني الثائر.

- «الجنود يعرفون هذا السر،

- نعم الجنود هناك خلف الحواجز، في الطائرة المروحية في الدبابة، القناصون فوق الأبراج يعرفون السر، ولهذا السبب يصوبون نيرانهم نحونا، نعم، هذا كل ما في الأمر، لا يصوبون نحونا كي يقتلونا، يصوبون نحونا كي يقتلوا الحرية التي تختبئ فينا، الحرتة التي نطاردها طوال عمرنا كي نمسك بها. هل فهمت؟!».[1]

يبين لنا "نصر الله" أنّ الشهادة هي ضريبة يدفعها الفلسطيني لكي يكسب الحرية بكل رضا وسكينة.

وفي رأي "نصر الله" أنّ «الحرية هي الشيء الوحيد الّذي يجعلك تشبه نفسك».[2]

لأنّ الحرية هي الشيء الّذي يبحث عنه ويقاتل من أجله لأنّ الحرية تجعله يوقن بأنه حي على الأرض، فلا يستسلم إلا وقد مات الحب في قلبه بسبب العدو الّذي سحق ملامح الحب والإبداع والحياة المدنية منه.

- «أتعرفين يا آمنة متى يستسلم الإنسان؟

- يستسلم الإنسان حين ينسى من يحب ولا يتذكر سوى نفسه».[3]

---

[1] إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص76.

[2] المصدر نفسه، ص80.

[3] المصدر نفسه، ص54.

يحيلنا "نصر الله" في هذه العبارة أن الحب سبيل للحرية، والحرية تجعل الإنسان قويا وذا شخصية عظيمة بعدم استسلامه لأنّ الحرية وجه الحياة المتفق عليه عند كافة الشعوب المحتلة.

د- الشهادة:

يخيل لمن يرى هذه التيمة أنّها ضرب من ضروب الموت، والّذي يفقد الإنسان فيه حياته على يد عدوه، والحق أنّ الشهادة هي وجه آخر للحياة الكريمة تحت الأرض، أو في السماء، وهي اللحظة الّتي يسجل فيها الفلسطينيين لنفسه حين عاش عزيزا كريما، ولبى نداء وطنه ودينه، فجاءت البشرى من عند الله في قوله تعالى ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾.[1]

فالرّوائي الفلسطيني كثيرا ما عبر عن القتل في سبيل الوطن حياة، فمفرد الشهادة بان ظاهرا كثيرا عند إبراهيم نصر الله والّذي كانت أفكاره وسطية لأنّه كان يحاول إعطاء نظرة عن الشهيد ومكانته عند الفلسطينيون لأنّهم يعتبرونه تضحية من أجل الوطن ودينهم، ولذلك يقومون بتكريم وتمجيد قتلاهم، فقد ظهر معنى الشهادة في رواية "أعراس آمنة" ما يقارب الثلاثين مرة ومنها:

- (نزغرد في جنازات شهدائنا).
- (الهاجس الّذي خطر لي ذات يوم حول الشهداء في عروقي هل ثم يوم يمر في جنازات شهدائنا).
- (لقد استشهد ابنها قبل ساعتين من عرسه).
- (سمعت أنّ أبو عنتر استشهد).
- (أنت تعرفين الشهيد سمير عليوة).

---

[1] آل عمران، الآية 169.

ففي رواية "أعراس آمنة" والّتي تضج بأحداث الموت، والشهداء الّذين يرتقون واحدا بعد الآخر، وفي حالة الحزن والتمرد والعنفوان التي كانت بادية على آمنة، فتبدو قوية وصابرة تقول: «الذي يجبرنا على أن نزغرد في جنازات شهدائنا هو ذلك الذي قتلهم، نزغرد حتى لا نجعله يحس لحظة أنه هزمنا، وإن عشنا، سأذكرك أننا سنبكي كثيرا بعد أن نتحرر!، سنبكي كل أولئك الذين كنا مضطرين أن نزغرد في جنازاتهم، سنبكي كما نشاء».[1]

وفي جو من المشاجاة والألم تتكسر تلك الإرادة قليلا أمام العاطفة الجياشة، فتقول آمنة: «تسألينني لماذا البكاء؟ ومتى سأبكي إذا؟ لماذا لا نبكي كنا؟ كلنا يا ابنتي، مرة واحدة، من أول "غزة" حتى آخرها، لماذا لا نبكي؟ هل يجب علينا أن نزغرد طوال الوقت، لماذا؟ لأن أولادنا شهداء. إنهم أولادنا».[2]

يظهر هنا أنّ حكاية الزغرودة مرتبطة جدا بأخبار الشهيد والشهداء، حيث تظهر أمه لأنّ تزغرد له، وتبتسم لآلامها ودموعها، ولكن حكاية كبيرة ترويها، ومغامرة قاسية تخوضها في المراحل الّتي تسبق استشهاد ولدها.

– «أتعرفين لماذا تبكي الأمهات خوفا على أبنائهن طوال الوقت؟ لأن عليهن أن يزغردن مرة واحدة. واحدة فقط. كي لا يخجلن من هذه الزغرودة التي يطالبهن العالم بها. تبكي الواحدة منا طوال الوقت لأنها تعرف أن هنالك لحظة آتية، ستكون فيها مضطرة لأن تخون أحزانها، حين يكون عليها أن تزغرد».[3]

ومن علامات الأمل والحياة في خضم وزحمة ذلك الموت والألم، تقول آمنة في وصفها للشهيد وحياته:

---

[1] إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص98.

[2] المصدر نفسه، ص98.

[3] المصدر نفسه، ص100.

- «الشهداء هم أكثر الناس حبا للضحك، لأنهم أكثر الناس حبا للحياة».[1]

- «يحيرني دائما أن هناك أفواجا جديدة منهم، في عمر واحد، فجأة يبزغون، هم الذين لم يكن لهم أي وجود هنا. يبزغون تماما، مثل نوار اللوز أو الليمون».

2- معالم الموت:

يشكل الموت محورا أساسيا في الأعمال الرّوائية وخاصة المتعلقة بالقضية الفلسطينية، لأنّ الموت يعتبر كأنه تضحية من أجل الوطن، وعرف إبراهيم نصر الله عن اهتمام كبير بموضوع الموت لأنّه يرى أنّ الموت هو قتل لا إنساني بعيدا عن ساحة المواجهة أو توازن قوي، وأن هذا الموت يتشبع برائحة الظلم والحزن العميق، وربما البراءة والضعف المصاحب للضحية الميتة.

ومن تيمات الموت الّتي أوردها إبراهيم "نصر الله" نجد: القتل- الحرب- اللجوء.

أ- القتل

برز هذا الشكل من الموت كثيرا في رواية "أعراس آمنة"، حيث تعرضت غزة لعدة غارات والاغتيالات المباغتة على المدنيين من شخوص الرّواية، فكانت الرّواية مشبعة بالقتلى الشهداء والضحايا الكبار والصغار، فبطلة الرّواية آمنة لم تكن آمنة ولم تعش في سلام وطمأنينة مع ابنها وزوجها وإنّما عاشت صراعات وفقدان ويأس كبير، لكنها كانت تبدو أمام المحتل شامخة عاليا وصابرة، فبذلك كانت آمنة بالخارج، ولكن كانت مزعزعة وحزينة من الداخل، وهذا ما كانت تريده، قالت آمنة: «يجب أن يحس هؤلاء الناس أنهم ليسوا وحيدين بعد أن فقدوا أبناءهم وآباءهم. ليس هناك أصعب من فقدان الابن أو البنت

---

[1] إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص53.

أو الأخ أو الزوج الذي تحبين، أو أي عزيز عليك. والأدهى من هذا الفقدان هو موعده، إنه يأتي في الوقت الذي تتوقعينه أن يأتي فيه تماما، لأن هذا الوقت هو كلّ لحظة».[1]

بهذا يشعر القارئ حجم الفقد الّذي تعانيه آمنة، والمعاناة الّتي تكبدتها طوال عمرها، مما جعل حياتها رواية.

لقد كانت علاقة آمنة برندة وطيدة حيث أحبتها كثيرا لأنّها كانت تنسيها معاناتها اليومية بعد فقدان عائلتها: «قلت لها: كان يجب أن يكون اسمك رحمة، وليس رندة. فقالت لي: أولا أنا اسمي لميس، ثم هل هناك مكان يمكن أن تعيش فيه الرحمة هنا؟ كنت سأموت قبل أن أولد. كنت سأموت بمجرد أن يخطر هذا الاسم ببال أمي. أنظري إليهم، إنهم يقتلون كل شيء، أتعرفين لماذا؟ لأنهم قتلوا الرحة أولا».[2]

ب- الحرب

في رواية "أعراس آمنة" تغنت الشّخصيات كثيرا بالموت، وذاقته كلّ فئات سكان غزة، فالغارات الّتي واجهتها، أدت إلى موت كبير باغت سكانها.

رندة في حديثها عندما استشهد عزيز وقد كان سيخطبها، يلكن الموت حال بينهما تقول: «تركتها ورحت أسير بين الشواهد، عندها أحسست بذلك الهاجس، الّذي خطر لي ذات يوم حول الشهداء، يسير في عروقي: هل ثمة يوم يمر دون أن يستشهد فيه أحد؟».[3]

وتقول في عزيز: «كنت متأكدة من أنك أنت الذي رحلت، وكان لابد من موت كبير، موت غير عادي كي يمنعك من الوصول إلي».[4]

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص86.

(2) المصدر نفسه، ص86.

(3) المصدر نفسه، ص67.

(4) المصدر نفسه، ص35.

أمّا جمال، فيظهر هذا الزوج المحب لزوجته والمناضل في ذات الوقت بشكل ثابت خال من النمو، حتى استشهد وشاهدته زوجته آمنة على شاشة التلفزيون ولم يتعرف أحد عليه لتشوه وجهه، فجاءت عشرات من النساء تندبه وتبكيه وتتذكره، وتسرد شيئا من مواقفها معه في الماضي: «والموت يا آمنة، لا يرحمهم، هؤلاء، لكنهم لا يرحمونه، يحررون الأشياء الجميلة منه حين يصلونها أولا، يحررون الوردة والشجرة وجناح العصفور ونافذة البيت وصهيل الحصان والشمس والمطر، يحررون الفراشة والنمر والغزال. قد لا تصدقينني يا آمنة، ولكن سأسألك سؤالا واحدا: هل تعتقدين أن هذا العالم كان من الممكن أن يكون لو لم ينتزع هؤلاء الجميلون جال العالم من بين فكي الموت؟ هل تعتقدين أن الموت كان يمكن أن يقي لنا أي شيء هنا لولاهم؟!».[1]

وقد ذكرت الرّواية ملاحم موت وجنائز كثيرة، من ذلك ذاك الشهيد الّذي قتل قبل موعد زفافه بساعتين: «ذهبت لتلك المرأة لأبارك لها بزفاف ابنها، واستقبلتني أمام الباب كما استقبلت غيري وهي تزغرد وتغني، وحين راحت تبكي قلت في نفسي: هذا البكاء ليس بكاء فرح يا آمنة. وكأن المرأة التي بجانبي سمعتني، فقالت لي لقد استشهد قبل ساعتين قبل ساعتين من عرسه».[2]

وفي طريق آمنة لشراء ثوب الزفاف للميس تقول في تسديد الرؤية نحو تلك المفارقة المزدوجة: «كنت قادمة ولكنني في الطريق سمعت أن (أبو عنتر) استشهد فقلت أذهب لأعزي أهله، كان يمر قرب مفرق الشهداء. القذيفة جاءته مباشرة، قذيفة دبابة وأطارت وجهه لم يعرفه أحد... ثم عرفوه من ثيابه، هل الثياب أوضح من الوجوه؟!».[3]

---

[1] إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص68.

[2] المصدر نفسه، ص63.

[3] المصدر نفسه، ص48.

وجنازة الشهيد سمير تقول فيها: «أنت تعرفين الشهيد سمير عليوة، لم يخرج لشراء بطاطا لأمه، فهو أب وله سبع بنات وولد، خرج لكي يوزع بطاقات الدعوة لعرس أخيه محمد، ولم يعد لأسرته إلا شهيدا».(1)

وتفشى الموت في غزة حتى قصفت المقبرة والقبور الي فيها وحفار القبور كذلك قد فتح قبره بيده ثم دفن فيه في اليوم التالي: «قبل أيام فاجأونا بصاروخ قتل ثلاثة، وحين تجمع الناس لإنقاذ من في السيارة والشارع أغارت طائراتهم وقتلت سبعة وأصابت خمسين».(2)

وجرت عادة البكاء والموت لدرجة أنّ الحزن صار له مفهوم آخر عند سكان المدينة.

- «الدموع ليست هي الحزن، الحزن هو أن تستطيع أن تمنع نفسك من أن تبكي أمام أحد من أجل هذا الأحد».(3)

- هذه الرّواية الفلسطينية الّتي شحنتها الفاجعة بكل تيماتها مفتوحة على الآلام والمحنة، وقد تناولت فصلا من فصول القضية الفلسطينية وهو الحديث عن حياة الناس في غزة في واحدة من أكثر جولات الغدر والعذاب الّتي حصلت عليها مؤخرا وما يعتري أحياء غزة من قصف واجتياحات وشهداء، حيث يخرجون ليشعوا الشهداء فيعودون شهداء محمولين على الأكتاف، فهذه المشاهد رسمها الراوي رسخت مفهوم الموت لدى أهل غزة، وكيف تجاوبوا معه في مختلف الظروف والمواقف الصعبة.

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص48.

(2) المصدر نفسه، ص50.

(3) المصدر نفسه، ص93.

جـ- اللجوء:

مثلت ظاهرة اللجوء بعدا إنسانيا عانى منه الفلسطيني، وقلب موازين حياته منذ ما يقارب التسعة وستين عاما، وكان لنصر الله حديث عنه في الرّواية.

في رواية "أعراس آمنة" تتوزع الآلام بين حرب وموت ومعاناة لاجئ في مخيم، حتى ليغدو الوجع والألم هو كلّ الحياة وكلّ تفاصيلها.

فرندة الّتي رافقت آمنة وصادقتها، وكانت معها في كلّ كبيرة وصغيرة وهي صاحبة الحلم الكبير بأن تصبح إعلامية كبير، ظلت تخط وتوثق أحداث الحرب وتدونها وكأنها مرآة التاريخ، وقد مثلت دور المثقفة والمحللة لها، وقفت مع كلّ من بكى لأجل أن تمسح دمعه، لقد أعطت في الرّواية دلالة الفكر والعمق مما جعل الأحداث تبدو أكثر إيحاء وتأثيرا، تقول رندة:

- «ابتسم، لكنني لا أستطع أن أرد بابتسامتي الدموع التي أفلتت من عيني، فالحكاية لتي ا نكتبها، حكايتنا التي لا نكتبها، أتعرف ما الذي يكون مصيرها؟ اسمح لي يا غسان كنفاني... هل تعرف ما مصير الحكايات التي لا نكتبها؟ إنّها تصبح ملكا لأعدائنا».(1)

قام "نصر الله" باستدعاء كنفاني في صورة الخبير الّذي روى وجع النكبة من قلبه، وكأنه أبوه الّذي علمه كيف يقول السكين، وكيف يغني الجرح المغترب بصورة جديدة كلّ مرة، أم رندة تقول حين جاءت آمنة لخطبة ابنتها لميس: «وهل يقام عرس في بيت حين يكون الأب محبوسا والأولاد مطاردين؟! سنبكي ونحن نتذكرهم أكثر ما سنفرح بالعرسان»(2)

يتضح ميل "نصر الله" للكتابة، هو لأجل الحفاظ على ذاكرة حاضرة، فالفلسطيني بحاجة للتسلح بكل ما يدعم حقه في العوة والوجود وتحصين هويته من أدوات الاستعمار.

---

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص63.

(2) المصدر نفسه، ص52.

المبحث الثالث: الشخصيات

تعتبر الشّخصية إحدى المعالم المهمة الّتي يرتكز عليها العمل الرّوائي والإبداعي السردي، لكونها هي الّتي تبني محور الفعل السردي، كما أنّها تقوم بالحدث وتهدف في بناء العلاقات مع غيرها من الشّخصيات وهي المحور الأساسي للعمل السردي، ومن خلالها تتطور الأحداث وتتماشى وتأزم وفق إطار مكاني ومكاني فهي كالعمود الفقري فلا يمكننا أن نتصور أي عمل أدبي دون شخصيات.

1- الشّخصيات في رواية "أعراس آمنة":

أمّا رواية "أعراس آمنة" تحكي عن شخصيتان رئيسيتان في آن واحد ترتبط شخصياتهما ببعضهما البعض، الشّخصية الأولى هي رندة، فتاة لطبقة تبلغ من العمر 13 عاما لديها شقيقة توأم تدعى لميس، كان التشابه بينهما كبير بحيث كان يصعب التمييز بينهما، تعيش رندة مع جدتها وأمها ووالدها سجن لأكثر من 20 عاما، فكان لديها أيضا شقيقان جواد وسليم، كان أخويها مفقودين وغير معروفين، ملاحقين من طرف الاحتلال الإسرائيلي، رندة وحيدة ليس لديها صديقان الوضع الأمن الّذي جعل غزة غير آمنة جعل من رندة شخصية فردية وليس رندة فقط المجتمع بأكمله، متردد في الخروج من مخبئه لذلك من الصعب الحصول رندة على أصدقاء إلى جانب العامل النفسي الّذي يؤثر على نفسية رندة لي تكون فردية ووحيدة «ظلت جدتي صديقتي الوحيدة، عكس توأمي الّتي كان لديها من الأصدقاء ما يكفي عشر بنات ظلت جدتي صديقتي الوحيدة إلى أن وصلت آمنة».[1]

رندة لا تحب مجاملة البنات من عمرها، فأرد وما الّذي يمكن أن أفعله أن أجامل كلما تعرفت إلى واحدة أحسسن بأنّ الّذي يلزمها (حفاظة).

---

[1] إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص19.

لا صديقة، بنات جاهلات!! [1]

منها نستنتج أنّ رندة تفضل أن تكون وحيدة فردية لا ترغب في الارتباط بأشخاص آخرين.

كانت رندة تتميز بالذكاء أيضا، نستخلص ذلك من قول آمنة: « جمال، لا أريد أن يسمعوا صوتي، لقد ذهبت إليهم، رأيت رندة، رندة أختها. أخت مين؟!! أخت لميس! وحدثتها في الموضوع، لن تستطيع أن تتصور كم هي رائعة هذه البنت، والله لو كان يحبها قليلا، لخطبتها هي وليس لميس». [2]

من كلام آمنة نتأكد من أنّ رندة لديها ذكاء قوي ويمكن إثباته من الحوار بين آمنة ورندة:

- «مرات كثيرة فكرت، ولماذا يبقى مفتوحا ما دمنا لا نشاهده؟

- ولكننا كنا ننظر إليه، بين لحظة وأخرى دائما، لسبب لا نعرفه.

- رندة كانت تسألني: وما الذي ننتظر أن نراه على هذه الشاشة، ونحن شاهدناه ونشاهده بأعيننا؟

- ربما كانت العادة، العادة لا غير. إذ لا بد أن نتواضع أحيانا، ونرى، لأن هناك أشياء لا نراها بأعيننا لأننا نرى ما يشبهه هنا». [3]

من هنا يمكن أن نقول عن رندة أنّها طفلة ذكية يمكنها الإجابة عن أي سؤال.

كانت رندة شجاعة وقوية الشّخصية، كانت تملك شخصية شجاعة أيضا:

- «انظري الآن، أحيانا أخرج لحوش البيت، وأرى الموت يحلق في طائرة الآباتشى أو طائرة أف 16، فأعود للداخل بسرعة أحل مجلدات غسان، أرفعها إلى السماء واصرخ:

---

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص19.

(2) المصدر نفسه، ص26.

(3) المصدر نفسه، ص26.

تستطيع أن تفعل كل شيء ولكنك لن تستطيع قتل هذا، لقد سبقك وفزنا بهذا كله، هل نسيت؟». [1]

على الرغم من أنّ رندة لديها موقف فردي وعدم وجود ارتباط، إلا أنّها كانت تملك شخصية قوية، وليس من السهل أن تحزن، فمثلا نجدها عندها قتل سامر صديق لميس، مما تسبب للميس في حزن كبير فكانت رندة قوية القلب، وأرادت أن تحمل الحزن عن أختها في قولها:

- «فقلت لها: إذا أردت أن اكون أنا لميس، يومين، ثلاثة، عشرة، حتى تستريحي قليلا من أحزانك هذه، فسأكون». [2]

يبدو أنّ رندة صعبة للغاية في التعامل مع المشكلات.

- «أعرف، إلا أن الناس لا يتحملون مآسيهم بالشجاعة نفسها». [3]

ومن هنا نستنتج أنّ رندة لديها شخصية قوية وقدرة تحمل المشاكل والأحزان في حين كان الحزن يلهم أرواح الجميع كانت قوية لا تقهرها المشاكل والأحزان.

أ- الشخصيات الرئيسية:

- آمنة:

هي الشّخصية الثانية في رواية أعراس آمنة، حيث تهيمن آمنة وتؤثر على حياة رندة انتقلت آمنة مع ابنها صالح وابنتها نادية كانت حزينة لأنّه تم أسر زوجها على يد الجنود الإسرائيليين لكنها كانت دائما صامدة وقوية وصبورة في مواجهة الحياة والاهتمام بطفليها رغم الحزن.

[1] إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص63.

[2] المصدر نفسه، ص40.

[3] المصدر نفسه، ص42.

- «اعتقال جمال الذي لم يفرح برؤية ابنه سوى شهرين، وتزايد أوامر حظر التجول، كانا سببين كافيين لكي يجعلا أقي تنسى وجودنا ذات يوم، وتذهب في تأمل شباك الغرفة المطل على حوش آمنة، إلى درجة أنها جعلتنا نحس أن ثمة شخصا يقف خلفها، لا يراه أحد سواها. وحين سألتها: شوفي؟ لم ترد».[1]

كانت أيام آمنة مغطاة بالحزن، لأنّها كانت أيضا تعمل كطبيبة نفسانية تتعامل مع أطفال الحرب.

- «كان علي أن أنتظر زمنا طويلا كي أدرك حجم الأسى الذي تدفنه هناك في عتمة داخلها.

-ليس هناك أكثر إيلاما من أن ترى طفلا يتأم، طفلا تعرف أنه لن يمشي، طفلا لن يعرف إلى الأبد ما سيحدث غدا، في هذه الدنيا، طوال حياته».[2]

من الاقتباس نجد أنّ آمنة كانت امرأة حزينة على الرغم من أنّ حزنها لم يكن معروفا، كانت آمنة مقتنعة دائما بالأشياء الّتي تريدها، حتى إيمانها بزواجها الّذي حصد الصراع في ذلك الوقت.

- «كنت متأكدة من أنك أنت الذي رحلت، وكان لابد من موت كبير، موت غير عادي كي يمنعك من الوصول إلي».[3]

وكانت أيضا مؤمنة بالزواج ابنها ولميس رغم أنّها كانت تفضل رندة مقارنة بلميس، لكن الحب لم يبدأ على أي حال من هنا بدأ قبل زمن طويل.

- «هنا يمكن أن أقول إنه تطور!». [4]

---

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص35.

(2) المصدر نفسه، ص34.

(3) المصدر نفسه، ص85.

(4) المصدر نفسه، ص29.

على الرغم من أنّ شخصية آمنة تبدو ضعيفة إلا أنّ هناك مواقف أخرى تظهر فيها مثل الطبيعة المتعارضة، أثناء زواجها مع جمال:

– «يومها قالوا إن عرسا كعرسكما لا يمكن أن يتم. ما دام العريس في منطقة والعروس في منطقة، وما بينهما كل هذه القوات.

– قلت لهم، بعيني هاتين رأيت أكثر من عروس تعبر الحواجز والجنود ينظرون إليها من خلف أكياس الرمل ومن طاقات أبراج الدبابات. وسأفعل مثلهن. وحين فعلت، حين لبست ثوي الأبيض، أعادوني. قال لي الجندي: أعراس ما في! أعراس ممنوع!».[1]

وعلى الرغم من أنّ الجنود أمروا آمنة بالعودة وقاموا بإلغاء الزواج إلا أنّ آمنة ظلت وأصرت على مواصلة زواجها من جمال:

– «قال لي الجندي: أعراس ما في! أعراس منوع!

– فقلت لهم: وما هو المسموح به هنا؟! حتى الجنازات تمنعونها أيضا حين يكون بإمكانكم فغل ذلك، لا تريدوننا أن نزف لا في أعراسنا ولا في جنازاتنا».[2]

كانت آمنة يائسة من كلّ ما يحدث لها من مشاكل والوضع الّذي تعيش فيه، الوضع المتلقلب دائما ما يجعل الإنسان يشعر بالحزن واليأس.

– «بعدين يا رندة! المسألة طالت أكثر مما يجب، وعلينا أن نزوجهما، وأنت وعدت، لقد وعدت أنك ستكلمين أمك، لننتهي من هذا الأمر».[3]

من الاقتباس هذا نستنتج من كلام آمنة أنّها تشعر بالفعل بالعبء واليأس من المشاكل الّتي كانت تواجهها، لذلك أرادت أن تشرع على الفور من أن تزوج ابنها صالح من لميس توأم رندة.

---

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص44.

(2) المصدر نفسه، ص44.

(3) المصدر نفسه، ص133.

ب- الشّخصيات الثانوية:

- صالح:

الابن الأكبر لآمنة كان يحب لميس توأم رندة وكان يريد الزواج منها، وكانت آمنة تحظر لعرسهما، توفي صالح بعد وفاة أبيه على يد الجنود الإسرائيليين:

- «هل تعرفينه؟ سألها أحدهم.

- هزت رأسها، كما لو أنها تقول لا.. وخرجت.

- ظلت تسير إلى أن وصلت، بيتها، بيتنا.

- قرعت الباب، خرجت.

- قلت لها: أين نادية؟

- قالت: نادية؟! مش عارفة.

- وقلت لها إن صالح لم يعد.

- فقالت لي: أعرف. فهناك في المستشفى ولد يشبهه!».[1]

من البيان أعلاه نستنتج أنّ صالح قتل أو أصيب برصاص الاحتلال وآمنة عرفته في المستشفى أنّه هو المتوفي.

- لميس:

توأم رندة جارة آمنة أيضا لميس لديها الكثير من الأصدقاء على عكس أختها التوأم رندة الّتي كانت تحب أن تظل وحيدة بدون صديقات، كانت لميس تحب الفتى سامر، آمنة كانت لزواج ابنها صالح من لميس لأنّه كان يحبها كثيرا.

- «أقول لك هذا بصوت منخفض حتى لا يسمعني صالح، لكن الولد وقع في حب لميس».[2]

---

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص133.

(2) المصدر نفسه، ص28.

كانت لميس تشبه توأمها رندة لدرجة كبيرة لأنّ الكثير يخلط بينها وبين أختها حتى أمها:

- «كيف كنت تفرقين بيننا، فقالت لي: لا أعرف، في البداية كنت أعرف، لكنني لم أعد أعرف شيئا. كله منكن. في الأول، لم يكن الأمر صعبا، ولكنه اختلف فيما بعد».[1]

قتلت برصاص الجنود، كانت فوق سطح المنزل، رآها القناص وأطلق عليها رصاصة:

- «بعد ساعتين استطعنا قطع المسافة التي تفصلنا عنها؛ بعد ساعتين قطعنا الأمتار الأربعة! وجدنا جسدها ملقى وسط بحيرة دم صغيرة، وكان اسمها إلى جانبها ملقى هناك مثل عصفور صغير؛ حلت الاسم، ونزلت به، في الوقت الذي كانوا ينزلون الجسد المثقوب».[2]

- واصفية:

جدة التوأم رندة ولميس، كانت تعيش معهم في البيت، كانت صديقة رندة الوحيدة إلى أن وصلت آمنة:

- «ظلت جدتي صديقتي الوحيدة، عكس وأمي التي كان لديها من الصديقات ما يكفي عشر بنات وحيدات.

- ظلت جدتي صديقتي الوحيدة إلى أن وصلت آمنة ».[3]

كانت تحب شرب القهوة قبل الخلود إلى النوم كي لا تصحو على صوت الرصاص والقنابل.

---

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص134.

(2) المصدر نفسه، ص135.

(3) المصدر نفسه، ص19.

- عزيز:

كان الفتى معذبا بحفر القبور، كان دائما يقوم بحفر القبور ويجهزها لكي لا يتفاجؤوا لأنّ الاحتلال كلّ يوم يقوم بالقصف:

- «فقال: على أي حال لن أكون بعيدا

- قلت له: ستحفرون قبورا جديدة؟

- هز رأسه: بعد قليل يأتي الشباب.

- تعرفون، هذا الولد معذب بحفر القبور. يقول لي دائما، تعرفين يا خالتي آمنة: إنهم يفاجئوننا، ويقتلون شبابنا كل يوم، ويجب ألا نفاجأ».[1]

- جمال:

زوج آمنة كان مطاردا من قبل الجيش الإسرائيلي:

- «كنت متأكدة من أنك أنت..

- كنت متاكدة من أنك أنت الذي رحلت، وكان لابد من موت كبير، موت غير عادي كي يمنعك من الوصول إلي».[2]

- أبو عنتر الرملاوي:

زبال فضلات الخضروات حتى هو لم يسلم من رصاص الجنود الإسرائيليين وقتلوه وحضر جنازته آمنة والآلاف من الناس:

- «تتذكرون مصطفى الرملاوي- أبو عنتر؟، مصطفى ما غيره؛ قتلوه على مفترق الشهداء. قلبي يوغوشني، ويقول لي: ما داموا وصلوا لقتل مصطفى، الله يرحمه، فلماذا تستبعدون أن يقتلونا جميعا».[3]

---

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص56.

(2) المصدر نفسه، ص85.

(3) المصدر نفسه، ص55

- مصطفى:

أخو آمنة كان دائما واقفا معها ونلتمس ذلك في قولها في هذا الاقتباس:

- «من كان يقول هذا الكلام غيرك يا مصطفى، يا أخي الأحن مني، يا أخي الذي لم يفارقني، حين فارقني الآخرون، حين ذهبوا».[1]

كانت آمنة تطلب من أخيها مصطفى الذهاب معها لخطبة لميس، وتكت ذلك في الاقتباس التالي:

- «يا مصطفى، أنت خال العريس وعليك أن تذهب مع الجاهة لتطلب البنت، ما الذي حدث لك؟! هل تريد أن تقول لي اذهبي وحدك، أنت الذي لم تتركني وحدي في يوم من الأيام؟!! ما لي أحد غيرك يا مصطفى، أنت خال العريس، وصالح يحبك».[2]

- سامرك

صديق لميس، كانت دائما تلاحقه من مكان إلى مكان آخر من أجل الاطمئنان عليه ونلتمس ذلك في:

- «فجأة أصبح على لميس أن تلاحق سامر من حاجز إلى حاجز كي تطمئن عليه، تراقبه من بعيد بعيني ابنة الثالثة عشرة الممتلئتين هلعا».[3]

كانت لميس دائما تقوم بمساعدة صديقها سامر في حين كانوا يطلقون عليها اسم القوات التدخل السريع الفلسطينية:

- «وأن تحذيراتها له تتلاشى مع تصاعد صوت الرصاص، أو حين يختطفه دخان قنبلة مسيلة للدموع، تخرج من مكمنها، إلى حد أن البعض أصبح يدعوها بـ "قوات التدخل السريع الفلسطينية"».[4]

---

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص10.
(2) المصدر نفسه، ص43.
(3) المصدر نفسه، ص39
(4) المصدر نفسه، ص39.

قتل سامر على يد الاحتلال الإسرائيلي حزنت لميس عليه حزنا لا يحتمل لرجة أن رندة أرادت أن تتحمل عنها ذلك الخزن لفترة:

- «ذات يوم عادت لميس من المدرسة، فوجدت صورة سامر على باب بيتنا، وفوتها عبارة بخط أسود عريض (نعي شهيد)». [1]

أثر موت سامر على لميس ودخلت في حزن عميق:

- « أصبحت حزينة، حزينة إلى ذلك الحد الذي لا يحتمل، فقلت ها: لميس، إذا أردت أن أكون أنا لميس، يومين، ثلاثة، عشرة، حتى تستريحي قليلا من أحزانك هذه، فسأكون».[2]

- جواد وسليم:

أخوي رندة ولميس، يكانوا مطاردين من قبل جنود الاحتلال الإسرائيلي:

- «أحيانا تمر أيام كثيرة، دون أن أرى أخوي، جواد وسليم، دون أن أرى أحدا، خطفا يمران، في الظلام غالبا، يقبلان يدي أمي ويطمئنان علينا، وهما لا يعرفان أننا نحن الذين نطمئن عليهم.».[3]

---

[1] إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص40

[2] المصدر نفسه، ص40.

[3] المصدر نفسه، ص17.

المبحث الرابع: المكان

للمكان أهمية كبيرة في بناء الحدث الحكائي، فهو البنية الأساسية من بنياته، ولا يمكن تصور أحداث قصصية إلا بوجود مكان تنمو فيه وتتشعب، لأنّ المكان يحتوي على الأحداث ويبنيها ويشعّبها، ومن داخل الفضاء المكانيّ تتم عمليات التخيّل والاستذكار والحلم، فلا يمكننا أن نتخيّل بطلاً أو شخصية قصصية تفكّر وتتفاعل مع أخرى، وتراقب وتحلّل الأوضاع الإيديولوجية والاجتماعيّة، أو تثبت رؤاها إلاّ من داخل المكان.

1- غزة فلسطين:

هو المكان الرئيسي غزة فلسطين وهو المكان الّذي تقطن فيه الشّخصية الرئيسية، كما وجد في الرّواية في الصفحة 6 وهي بيان مباشرا أن كانت هناك حرب حول المقر غزة:

- «مع أن كثيرين صاروا يتباهون -كما في الحرب- بدقتهم في تحديد أنواع الأسلحة، لكنني لم أكن منهم».(1)

2- منزل رندة:

تحدث معظم القصص في الغرفة لأنّها خارج المنزل يشكل خطورة كبيرة على أمنهم، رندة هي شخصية أحيانا ما تكون أعمالها خارج المنزل.

- «من يطرق بابنا من صبيحة الله هذه؟

- سألتني أمي دون أن تستطيع فتح عينيها..

- صوت القنابل. قلت لها، وأعدت: صوت القنابل.

- كنت متأكدة من هذا، ولكنني ظننت أنني أحلم. الله لا يخلي واحد فيهم».(2)

---

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص09.

(2) المصدر نفسه، ص33.

ومنها نستنتج أنّ رندة وعائلتها تبقى في البيت بسبب الخوف من الإصابة برصاص الاحتلال الإسرائيلي.

3- منزل آمنة:

وجود آمنة في البيت المجاور لرندة حدث العديد من التغيرات في حياة رندة لأنّها كانت كلّ يوم تقريبا تذهب إلى منزل آمنة نظرا إلى المسافة بين منزل رندة وآمنة كانت قريبة، ونستخلصها في قول رندة الآتي:

- «أما أنا، فقد تحققت المعجزة التي لم يكن أحد يظن أنها قابلة للتحقق، إذ غدت المقلاة تحتي أقل سخونة، بحيث أصبح بإمكان أمي أن تبحث عني وتجدني في بيت آمنة».[1]

4- مركز إعادة التأهيل:

مركز التأهيل من الأماكن الّتي تزورها آمنة كلّ يوم بسبب عملها كطبيبة نفسانية تعالج ضحايا الحرب:

- «غالبا ما كنا ننتظرها عند بوابة البيت، في وقت عودها من عملها من مركز تأهيل المصابين التي قادتها شهادتها الجامعية في علم النفس إليه كمشرفة؛ من طرف الشارع تطل حزينة دائما، لكن ما إن ترانا حتى تنشر ابتسامتها الّتي عرفناها بها».[2]

تعمل آمنة في مركز التأهيل كلّ يوم.

5- مستشفى غزة المركزي:

لقد كان زواج آمنة من جمال مثل الحرب لأنّها حصدت الكثير من الصراع لأنّ جمال قد عدم تقريبا، وتم نقله إلى المستشفى بسبب تعرضه لطعنة خنجر في بطنه.

---

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص34.

(2) المصدر نفسه، ص44.

- «انتظرتك، وانتظرتك؛ لم تأت، وجاء واحد ليقول لي إنك في المستشفى، في مستشفى غزة المركزي. دخلت لأخلع ثوب العرس، فقال لي: إنه يريدك أن تأتي كما أنت».[1]

6- مستشفى الشفاء:

كان يقع الهجوم من قبل جنود الاحتلال الإسرائيلي على الفلسطينيين كلّ يوم تقريبا وسقط العديد من الضحايا وأصيب العديد من الجرحى، ومن بين الضحايا أبو عنتر الرملاوي، كان يقوم بالتقاط بقايا الطعام والخضروات حوالي من أربعين عاما.

كانت آمنة على علم به، لكنه حتى هو لم يسلم من جنود الاحتلال فقتلوه وثم نقل جثته إلى مستشفى الشفاء.

- «حين سارت الجنازة مشيت وراءها. ومشت الآلاف، آو الله، آلاف، من (الشفاء) إلى (النصيرات). إلى بيته».[2]

---

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص45.

(2) المصدر نفسه، ص49.

المبحث الخامس: الحدث

إنّ الحدث في الرّواية يعتبر بمثابة العمود الفقري الّذي تقوم عليه بنياتها، فالرّوائي ينتقي وباحترافية للأحداث الواقعية أو الخيالية الّتي يشكل بها نصه الرّوائي.

جاء مفهوم (الحدث) في لسان العرب على أنّه مأخوذ من مصدر «حدث يحدث حدوثا وحدثنا.. والحدوث كون لشيء لم يكن، وأحدثه الله فحدث وحدث أمر أي وقع..»[1]

يعد الحدث أهم عنصر في العمل السردي ففيه تنمو المواقف وتتحدد الشّخصيات، والرّوائي ينتقي أحداث الرّواية من الحياة اليومية والواقع والحدث الرّوائي ليس كالحدث الواقعي، وإن انطلق أساسا من الواقع، فالرّوائي يتصرف في حبك الرّواية، وفي تسلسلها الزمني، كعودة للأحداث بشكل خطي (الطريقة التقليدية أو تقنية السرد الحديثة الفلاش باك).[2]

1- الأحدث في رواية "أعراس آمنة":

تدور أحداث الرّواية في غزة تلك المدينة الفلسطينية المحاصرة الّتي يستهدفها القصف يوميات يفوح فيها عبير الشهادة تحدث أحداث الرّواية شخصيتان رئيسيتان هما: آمنة ورندة، آمنة الّتي فقدت كلّ أهلها وأحبتها فقدت زوجها وابنها صالح الّذي كان تحضر لزفافه من ابنة الجارة كيس، لكن القصف الإسرائيلي حطم أحلامها، فاستشهد كلّ أهلها ومن بينهم ابنها صالح وخطيبته لميس، هذا ما جعلها تدخل في صراع نفسي متناقض بحيث رفضت هذا الواقع المأساوي الّذي حرمها كلّ ملامح الحياة، فكانت تتصرف وكأن عائلتها على قيد الحياة وهي تحضر لزفاف ابنها صالح، وقد كانت ابنة الجارة رندة تشاركها الأفراح المزعومة الّتي سلبها منها المحتل الصهيوني.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص73.

[2] صبيحة عودة زغرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، ط1 دار مجدلاوي للنشر والتوزيع عمان، ص134.

بناء على ما سلف ذكره، جاءت أحداث الرّواية على شكل مشاهد متفرقة من معاناة الفلسطينيين في غزة نسجها الحوار بين آمنة ورندة غالبة، ومع الشّخصيات الثانوية أيضا، بحيث تصب الأحداث كلها في قالب فكري واحد وهو حالة الموت والخراب والدمار...

آمنة هي زوجة شهيد وأم شهيد فقدت الكثير من الأحبة وشهدت الكثير من المشاهد المأساوية للقصف والدمار والبؤس والألم، كما أنّ عملها في مركز تأهيل للمصابين عمق إحساسها بالقهر والأسى.

وهي تشهد يوميا صورا للدمار المادي والنفسي والجسدي، فالكثير ممن نجا من القصف وكتب له عمر جديد، أصيب إصابة بالغة تؤدي به للعجز الكلي أو الجزئي:

- «غالبا ما كنا ننتظرها عند بوابة البيت، في وقت عودها من عملها من مركز تأهيل المصابين الذي قادتها شهادتها الجامعية في علم النفس إليه كمشرفة؛ من طرف الشارع تطل حزينة داتا، ولكنها ما إن ترانا، حتى تنتشر ابتسامتها التي عرفناها بها».[1]

ومن الأحداث المهمة في الرّواية مشهد موت جمال زوج آمنة جراء القصف الإسرائيلي:

- «لم يكن من السهل معرفة الوجه على الشاشة. كانت الدماء تغطيه. وفي الطريق سألت نفسي، هل رأيت وجها أم خيل لك أنك رأيت وجها؟ لا أعرف. كل الأشلاء اختلطت ببعضها البعض، ولعلها شكلت وجها بالصدفة، وجها لين بالضرورة أن يكون وجهك، لأنني كنت أراك كل مرة على هيئة أخرى كلما التقيتك، كنت أفزع في البداية، وأقول لنفسي، ما الذي يفعله هذا الاحتلال بك يا آمنة، إنه يقذف بجسدك في كل مرة إلى ذراعي

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص33.

شخص ترينه للمرة الأولى! لا تأخذ كلامي أكبر من حجمه، لأنك تعرف أنني أحبك، ولكن الأمر كان يخيفني».[1]

قصة القصف الدامية الّتي تحول فيها زوجها جمال إلى جثة مشوهة، تناولت الرّواية أيضا مشهد مقتل صالح ابنها الّذي أصابه برصاص الجيش:

- «هل تعرفينه؟ سألها أحدهم.
- هزت رأسها، كما لو أنها تقول لا.. وخرجت.
- ظلت تسير إلى أن وصلت، بيتها، بيتنا.
- قرعت الباب، خرجت.
- قلتلها: أين نادية؟
- قالت: نادية؟! مش عارفة.
- وقلت لها إن صالح لم يعد.
- فقالت لي: أعرف. فهناك في المستشفى ولد يشبهه!».[2]

كما تضمنت الرّواية مشهد موت لميس خطيبة صالح ابن آمنة بحيث استشهدت بطريقة خاطفة على يد قناص غادر إسرائيلي:

- «ولم أكن أنكر. لكن واحدة منا خرجت إلى السطح ذلك اليوم، ورآها القناص، فأطلق رصاصة واحدة».[3]
- «رصاصة واحدة تكفي أحيانا وتزيد.
- وكلما راح أحد يحاول الوصول إليها فوق السطح، رأينا حواف الإسمنت تتطاير، فأدركنا أن هناك رصاصا، يأتي من بعيد، نراه ولكننا لا نسمع صوته، بعد ساعتين

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص88.

(2) المصدر نفسه، ص133.

(3) المصدر نفسه، ص135.

استطعنا قطع المسافة التي تفصلنا عنها؛ بعد ساعتين قطعنا الأمتار الأربعة! وجدنا جسدها ملقى وسط بحيرة دم صغيرة، وكان اسمها إلى جانبها ملقى هناك مثل عصفور صغير»[1]

كما تضمنت الرّواية مواضع متفرقة مشاهد مؤلمة للقصف ومخلفاته والّذي لم تسلم منه حتى المقابر:

– «أولم تعرف بأنهم قصفوا المقبرة. لماذا يقصفون مقبرة. إنهم لا يتعبون من البحث عن صور للذين قتلوهم. رندة قالت لي إنهم يريدون أن يتأكدوا من أن الذي قتلوه قد قتلوه تماما!». [2]

– «حتى مقبرة الشهداء لم تعد آمنة يا آمنة، ستة صواريخ، ولماذا؟ هل سمعتم ذلك الهدير؟ لقد هز غزة بأكملها».[3]

مشاهد الحياة اليومية لفلسطين بغزة الجريحة المحاص كثرة القتلى والشهداء:

– «لأن المقبرة امتلأت.

– امتلأت، ولكن كيف؟

– –لأن الموت كثير. فقط لأن لموت كثير».[4]

– «لو كنت عمياء

– لقلت إن الموت أكثر من الحياة هنا».[5]

وأكثر منظر كان يوجع آمنة ويزيدها شقاء منظر الأطفال ضحايا القصف الهمجي للاحتلال:

---

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص135.

(2) المرجع نفسه، ص101.

(3) المرجع نفسه، ص55.

(4) المصدر نفسه، ص112.

(5) المصدر نفسه، ص117.

«كان عليها الذهاب كثيرا إلى المستشفيات للالتقاء بالأطفال المصابين، وإقناع بعض الأهل الذين لم يكونوا، غالبا، يقبلون وضع أبنائهم تحت رعاية خاصة.

يقتلك أن هذا العدد الهائل من الأطفال لن يروا الشمس.

الرصاصات التي كانت تطال عيون الأطفال بالذات، كانت تعذبها أكثر.

وكانت الإصابات تزداد، وفي لحظات تتحدث كما لو أنها في مكان آخر».

ومن المشاهد الّتي رصدتها الرّواية آمنة في عملها معاناة الأطفال وآلامهم:

«آمنة كانت في المستشفى، وكان الولد يبكي، الولد الصغير الذي بعثرت رصاصة الدمدم نصف عامودة الفقري، وخلفته بلا قامة، بلا ساقين يجري بهما، أو يكذب بهما حين يغير على سيارات الجنود ويقول لأمه: بهما كنت ألعب الكرة! كان الولد يبكي خائفا من أن آمنة ستأخذه من أمه ما أخذته الرصاصة من اللعب ومطاردة الجنود والتجرء حتى على الحواجز.

فجأة ملأت الضجة الممرات والغرف وغطت على صوت الصغير. سألت آمنة الممرضة التي تقف عند الباب تستطلع ما يدور: ما الذي يحدث؟

– كأنه طفل مصاب.

– حتى متى يا ربي؟ قالت آمنة.

لكنها بعد قليل نهضت، كما لو أنها شخص ينهض من نومه ويسير في نومه».[1]

من المشاهد الّتي تصور حالة الجنون والتخيل الّذي وصلت إليه آمنة بسبب القصف الّذي حرمتها من أهلها:

«شايفة يا رندة، أذهب للسوق ثم أطبخ وأنفخ، وبعد كل هذا التعب، لا أحد يأكل. شوفي، الطبخة على حالها. والله ما أنا عارفة ليش بتعب حالي.

---

[1] إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص131.

ثم التفتت إلي وقالت: أحطلك صحن توكلي؟».[1]

وما يدعم المشهد السابق على كثرة الموت والقتلى تجهيز القبور لكثرة الشهداء:

«تعرفون، هذا الولد معذب بحفر القبور. يقول لي دائما، تعرفين يا خالتي آمنة: إنهم يفاجئوننا، ويقتلون شبابنا كل يوم، ويجب ألا نفاجأ. يجب أن تكون هناك قبور جاهزة. أعرف أننا في الفترة الأخيرة حفرنا قبورا أكثر».[2]

ومن الأحداث الّتي سردتها الرّواية لقاء آمنة برندة أخت التوأم لميس وبثها العموم والأحلام:

«آمنة، كانت أشبه بنسمة، مرت ذات يوم من شارعنا، توقفت قليلا، أعجبها المكان فقررت أن تقيم فيه.

حين دقت بابنا، كنت أنا أول من يراها من أهل بيتنا، جميلة كممثلات السينما، تشبه "آثار الحكيم". تشبهها كثيرا».[3]

رندة صحافية تلاقي الصعاب في ظل الاحتلال:

«ثم صمتت: شو بدي أقول لأقول. أنت تعرفين أكثر مني. ألست صحافية.

كنت أريد أن أقول لها إنني صحافية مع وقف التنفيذ، لأن أحلامي لم تتحقق، لأمها ربما كانت أكبر بكثير من رأسي الصغير. إلا أنها فاجأتني: أعرف أنك تكتبين. وأنك ستنشرين ما تكتبينه ذات يوم!». [4]

ومشاركة رندة الأحاديث مع آمنة يعكس الدمار النفسي الّذي خلفته الحرب:

---

[1] إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص77.

[2] المصدر نفسه، ص56.

[3] المصدر نفسه، ص20.

[4] المصدر نفسه، ص50.

«منذ زمن بدأت أمي تدرك أن آمنة لا تستطيع التحدث على راحتها إلا معي، وكان يسرها ذلك، وحين نخرج آنا وآمنة، كنت ألمح ذلك الاطمئنان الذي يغمر وجه أمي».[1]

ومن المشاهد الموجهة مشهد آمنة وهي تحكي عن تحضيرات العرس الّذي قدر له أن تحرم منه:

«هل تعرف ما الذي يعنيه العرس؟ يعني أن تحضر له جيدا حتى لا تسود وجهك مع الناس. عليه أن ينهض لنذهب لشراء بدلة له، بدلة تليق به. لا يمكن أن آخذ مقاسه وهو نائم، أتذكر ما الذي حصل قبل شهر حين أخذت مقاسه لكي أشتري بيجامة له، وحين عدت وجدته قد أصبح أطول».[2]

«لكي نشتري ثوب الزفاف، كنت قادمة إليك لنذهب معا، أنا وأنت والعروس. من حقها أن تختاره بنفسها، أليس كذلك؟».[3]

ومن الأحداث الّتي تعكس تمسك آمنة بالأمل في حياة خالية من الاحتلال:

«أحسست بأن الليل كان مضيئا، خرجت إلى السطح، ولم أكن خائفة، وحين نظرت، لم أصدق عيني، رأيت الناس في الشوارع مثل قناديل الليل، كانوا حزينين نعم، ولكنهم كانوا مثل قناديل الليل، وكنت أنا نفسي مضيئة وحزينة. تعرفين، خالتي، حين لم نستطع الوصول لأفراحنا المضيئة».[4]

(1) إبراهيم نصر الله، أعراس آمنة، ص51.

(2) المصدر نفسه، ص42.

(3) المصدر نفسه، ص48.

(4) المصدر نفسه، ص138.

خاتمة

لكل بداية نهاية وهاهنا نحن نختم باللمسات الأخيرة للعمل الّذي قمنا بإنجازه، ونحن نقف عند آخر محطة في هذا البحث، وعن النتائج الّتي توصلنا إليها من خلال خوضنا في هذا البحث كالآتي:

☒ لم يحظى المنهج الموضوعاتي بأهمية كبيرة كباقي المناهج النّقدية الأخرى، من حيث ترجمة مصادرها والتعريف بأعلامها وإشاعة معجمها النقدي، ولقد ظهرت إلا من باب النّقد الأكاديمي عن طريق إنجاز أطروحات جامعية.

☒ المنهج الموضوعاتي يعنى بتتبع الموضوعات في عمل أدبي واحد أو مجموعة من النصوص عند كاتب واحد أو عدة كتاب مهما كانت طبيعة هذا الموضوع.

☒ تعد تمية الموت من التيمات البارزة في الرّواية العربيّة والّتي اشتغلت عليها بكثرة خاصة عند الأدباء الفلسطينيين الّذين كسروا حاجز الصمت وأطلقوا العنان لأقلامهم لتكتب وتسجل وتصور الراهن الدموي والمميت الّذي يعيشه الشعب الفلسطيني.

☒ يعتبر موضوع الموت من أكثر الموضوعات الإنسانية إثارة للجدل لما يشكله من أطروحات تتعلق بارتباطها الوثيق بحياة الإنسان ومغزى كينونته في أبعادها الفلسفية والاجتماعية.

☒ ثنائية الحياة والموت هي واحدة من أهم الثنائيات الرئيسية في الإبداع الأدبي، وقد عالجها الكتاب بطرق مختلفة ومع ذلك فإنّ المتفق عليه هو أنّ الموت جزء لا يتجزأ من الحياة، فعلينا أن نحب الحياة كما منحت لنا وأن نستعد للموت كما كتب لنا.

☒ سيطرة تيمة الموت على رواية "أعراس آمنة" ومثلت الموضوع الرئيسي والمركزي المحرك للعمل الإبداعي.

☒ يهدف نصر الله من خلال رواية "أعراس آمنة" أن يعيش القارئ تجربة النسوة الّتي كانت تعيش في دوامة من الحزن والموت في كلّ محطات الرّواية.

☒ لقد صور إبراهيم نصر الله الموت على أنّه شهادة في سبيل الوطن وأن الشهادة رمز الأمل والحياة لغد مشرق.

وفي الأخير نأمل أن تكون الدراسة موفقة في تقديم صورة الموت "تيمة الموت" الّتي عبر عنها نصر الله، ورصدتها الدراسة قدر الإمكان، وما كان من توفيق فيها فهو من الله، وما كان من تقصير فمن أنفسنا، والله نسأل القبول والسداد والسير فيما يحبه ويرضاه.

الملاحق

- التعريف بالكاتب إبراهيم نصر الله:

ولد الشاعر إبراهيم نصر الله في 02 ديسمبر 1954 في عمان، لكن أصله فلسطيني، تم ترحيل عائلته من القدس، كانت عائلته تعيش في قرية بريج، وقد بدأ حياته التعليمية الأولى في مدرسة وكالة الغوث، واستكمل تعليمه حتى تخرج من كلية تربية علم نفس وحصل منها على الدبلوم من مركز تدريب عماني، يعتبر واحد من أكثر الكتاب العرب تأثيرا وانتشارا حيث تتوالى الطبعات الجديدة من كتبه سنويا محققة حضورا بارزا لدى القارئ العربي والناقد العربي أيضا، ومن اللافت هذا الإقبال الكبير من فئة الشباب على رواياته وأشعاره.

سافر إلى السعودية وعمل في التدريس لمدة سنتين، ثم عمل كصحفي في الكثير من المجلات مثل الأفق والدستور الموجودين في الأردن، وعمل أيضا في إدارة الأنشطة الأدبية داخل دار الفنون من الفترة بين عام 1996م إلى عام 2006م، وشغل منصب مستشار للثقافة في مؤسسة عبد الحمد شومان- دار الفنون- مديرا للنشاطات الأدبيّة فيها بين عامي 1996 إلى عام 2006، تفرغ بعد ذلك للكتابة، وهو عضو رابطة الكتاب الأردنيين واتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، واشتغل بها حتى أصبح ينتج أعمالا أدبيّة حققت نجاحا باهرا ثم ترجمة أعمله الأدبيّة إلى العديد من اللغات بالإضافة إلى إصداره الكثير من الكتب في مجال النّقد يعبر فيها عن تجربته، ورسالة الدكتوراه والماجستير الّتي توضح خبرته الّتي استمدها من الجامعات الأجنبية والعربيّة.

- مشوار إبراهيم نصر الله الأدبي:

ينقسم مشوار إبراهيم نصر الله الأدبي إلى العديد من المراحل الهامة، فكل مرحلة قد جعلت منه شخصاً أكثر نجاحاً في المجال الأدبي، وأبرزها ما يلي:

- أعماله المترجمة
- أعماله الروائية
- أعماله الشعرية
- **أعماله المترجمة:**

لقد قام إبراهيم نصر الله بنشر ستة عشر ديواناً شعرياً واثنا وعشرين رواية حتى الآن، ومن ضمن هذه الروايات رواية بعنوان "الملهاة الفلسطينية" التي تتكون من اثنا عشر رواية توضح تاريخ فلسطين من 250 سنة وأكثر من ذلك.

تم ترجمة خمسة من رواياته إلى اللغة الإنجليزية، بالإضافة إلى ديوان شعري، وأربعة من كتبه إلى اللغة الإيطالية، كما تم ترجمة واحدة من رواياته إلى عدة لغات من ضمنها اللغة التركية، الفارسية، والدانماركية.

يمتلك إبراهيم نصر الله كذلك روح الفنان المعاصر، فقد كان بارعاً في التصوير وله القدرة على الرسم بشكل دقيق وطبيعي، بالإضافة إلى قيامه بإعداد معارض للتصوير بلغ عددها خمسة معارض، من أهم المعارض التي أعدها وشارك بها هي:

- اشترك إبراهيم نصر الله مع 3 كتاب في عمان في سنة 1933م بإعداد معرض بعنوان "كتاب يرسمون".

- أعد معرض تصويري احترافي داخل دار الفنون في عمان عام 1995م بعنوان "مشاهد من سير عين".

-أشرف على إقامة معرض تصويري داخل دار الفنون في عمان عام 2004م بعنوان "صور وكلمات".

-قام إبراهيم نصر الله بإعداد معرض تصويري في كوريا عام 2004م بعنوان "حياة البحر الميت".

-كان آخر معرض تصويري له بعنوان "تحت شمسين" الذي عرض عام 2011م داخل عمان في ساحة دار الأندي.

- **أعماله الروائية:**

أول رواية قام إبراهيم نصرالله بنشرها بعنوان "براري الحمى" وقد نالت شهرة واسعة حتى الآن، وتم طباعتها عدة مرات على التوالي، وناقشها العديد من النقاد في الدراسة الأكاديمية والنقدية، ومنذ أربع سنوات تم اختيارها من ضمن أبرز 5 روايات تم ترجمتها إلى اللغة الدنماركية، وبعد مرور 26 سنة من تاريخ إصدارها قد كلفت الغاردين البريطانية الكاتب الأمريكي مات ريس باختيار هذه الرواية من أبرز 10 روايات أنتجت في العالم العربي.

أصدر إبراهيم نصر الله بعد الرواية الأولى العديد من الروايات التي لاقت الشهرة الواسعة، وبناءاً عليهم بدأ في نشر التجربة الخاصة به في الملهاة الفلسطينية، وهو المشروع الأول عالمياً الذي يتحدث عن القضية الفلسطينية، ثم ضم إليها آخر رواية في مسيرته الأدبية بعنوان "زمن الخيول البيضاء".

أصدر موضوع أخر بعنوان "الشرفات" الذي يتناول التحدث عن الجزء الثاني للملهاة الفلسطينية، وقد لاقى هذا المشروع الاهتمام النقدي وإقبال العديد من القراء، بعد ذلك تم إعادة طباعتها لأكثر من مرة في الكثير من البلاد الأوروبية.

- **أعماله الشعرية:**

لقد كانت لأعمال إبراهيم نصر الله العديد من التحولات الشعرية، حيث كانت أول ثلاث دواوين له متشابهة من حيث طول النص، لكن في ثالث ديوان وهو "أناشيد الصباح" قد أحدث تغيراً في تناول قصائده فكرة الإنسانية، وبدأ يحتفي بالتفاصيل الهامة، وظهر ذلك في العديد من قصائده مثل قصائد النوافذ، الحب. وقد احتلت هذه القصائد أكبر جزء من الديوان، كما أظهر في هذا الديوان قصيدة نثرية جذبت الانتباه.

بعد ذلك قام بنشر ديوان شعر بعنوان "نعمان يسترد لونه" وكان هذا الديون سبباً هاماً في تحول مسيرته الأدبية، حيث لاقى ردود أفعال مختلفة وأثار النقاد، ولذلك تم منع نشر هذا الديوان بعد أن صدر بـ14 عام في سنة 1998م، وبعد مرور 23 عام من إصداره تم منعه ثاني مرة للنشر في الأردن، وتعرض الشاعر إلى المحاكمة، لكن تضامن معه الآلاف من الأشخاص فتوقفت القضية.

أصدر إبراهيم نصرالله عدة قصائد هامة من أهم هذه القصائد هي: "قصيدة الفتى النهر والجنرال"، "قصيدة راية القلب–ضد الموت"، "قصيدة الحوار الأخير قبل مقتل العصفور بدقائق"، وأوضح بهم فكرته عن الموت من اتجاهات متعددة من خلال الاتجاه الإنساني الشامل والاتجاه الفردي، وفي العقد الثاني من فترة الثمانيات أصدر قصيدته الملحمية بعنوان "فضيحة الثعلب" التي قام بكتابتها في سنة 1990م.

قام إبراهيم نصر الله بتجربة كتابة القصائد القصيرة في أحد دواوينه وكانت هذه الخطوة ذات تأثير كبير على الحركة العربية للشعر، هذا الديوان بعنوان "عواصف القلب"، وتلى هذا الديوان بعد مرور أعوام ديوان "شرفات الخريف"، بالإضافة إلى كتاب بعنوان "الموت والموتى" الذي تناول فيه التحدث عن الموت وتقديم 100 قصيدة فيه.

نشر ديوان "بسم الأم والابن" في سنة 1999م، والذي سرد فيه عن والدته، وبعد هذا الديوان نشر ديوان آخر بعنوان "مرايا الملائكة" وهو ديوان عن الطفلة الفلسطينية التي ماتت شهيدة وهي إيمان حجو التي كان عمرها أربعة أشهر، وقد ظهرت خبرته الأدبية في تلك الدواوين.

- الجوائز الّتي حصل عليها:

حصل إبراهيم نصر الله على عدة جوائز بلغ عددها تسعة، من أبرز هذه الجوائز ما يلي:

- في سنة 1977 قامت صحيفة القارديان البريطانية باختيار روايته "براري الحمى" وتصنيفها من أهم الرّوايات الّتي صدرت عن العرب في العالم العربي، ولذلك حصل على جائزة سلان العربي المرموقة للشعر العربي.

- حصل على جائزة القدس للثقافة والإبداع الّتي تم منحها للمرة الأولى في سنة 2012، بالإضافة إلى ذلك تم نشر عشرة كتب نقدية يوضح فيها تجربته الشّخصية في دراسة الأدب.

- في يناير 2014 قرر متطوع أن يصعد إلى قمة كليمنجارو ومعه العديد من الأطفال الفلسطينيين الّذين قد بترت أرجلهم من قبل القوات الصهيونية، ثم وصلوا إليها مما أدى إلى كتابته رواية "أرواح كليمنجارو" في سنة 2015 وحصلت هذه الرّواية على الإقبال الشديد مما جعلها تحصل على جائزة كتاراكي في سنة 2016.

- لقد حصل في سنة 2018 على الجائزة العالمية للرّواية العربة نتيجة إلى نجاح رواية بعنوان "حرب الكلب الثانية".

– فاز إبراهيم نصر الله بجائزة كتار الثاني مرة في سنة 2020 وكان أوّل كتاب العرب الّذين فازوا بهذه الجائزة عن روايته الأكثر رواجا "دبابة تحت شجرة عيد الميلاد ثلاثية الأجراس".[1]

– **ملخص الرّواية:**

تعتبر رواية أعراس آمنة من أبرز روايات الرّوائي الفلسطيني إبراهيم نصر الله، وتعتبر الرّواية إحدى روايات سلسلة الملهاة الفلسطينية، والمكونة من ثماني روايات عن القضية الفلسطينية وهي طيور الحذر، طفل الممحاة، زيتون الشوارع، أعراس آمنة، تحت شمس الضحى، زمن الخيول البيضاء، ورواية "أعراس آمنة" تتمازج فيها اللهجتان الفصحى والعامية.

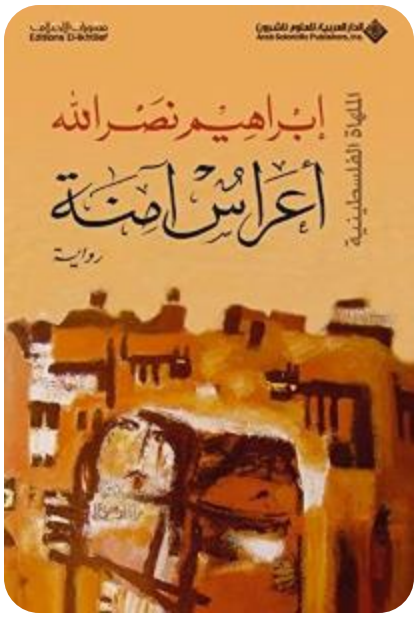

– «من يطرق بابنا من صبيحة الله هذه؟».

– «هكذا صرخ أبي في وجهه. بتمسخر علي؟ ما في عندي بنات للزواج».

– «بصلتك محروقة».

وتتبادل في سرد فصولها شخصيتان رئيسيتان هما آمنة ورندة، آمنة تحصر لعرض ابنها صالح إلى تخاله حيا وتنسى أنّه استشهد من زمن بعيد، يضعنا الكاتب في مخيلتها وهي تحاوره وتطبخ له ولزوجها وكأنهم جميعا أحياء يرزقون قلت لهم إنّ الشاي جاهز، فالفطور جاهز، المواضيع الّتي سنتحدث فيها جاهزة.

وتكاد تنسى أنّهم رحلوا وتشكك الشيخ الصدر من كلامها حتى تتجلى الحقيقة في الصفحات المقبلة، ترن في شحوب الصمت إهداء حزينة، الكل يتجاوب مع خيال آمنة

(1) *https://nassanekendy.blogpot.com 11/05/2023, 15:59*

ويتعامل معها وكأن عائلتها مازالت موجودة، وهو التضامن الصامت الّذي يخشى أن يفضحه نطق حرف حتى لا يشتت الحزن ما تبقى من أمل.

رندة وتوأمها لميس الفتاتان ابنتا جارة آمنة التي تقطن بجوار منزلها مع الجدة، هي التي تسرد الرواية ضائعة تائهة في أن تكون هي نفسها رندة أو شقيقتها التوأم لميس.

«لكن، سأعترف أن صالح كان يحبها أكثر مني، رغم أنني لا أعرف كيف كان يفرق بيننا، وحين أصبح له لسان مثل ألسنة البشر، كان السؤال الوحيد الذي لا يكل ترديده: متى ستعود لميس؟!

فأقول له: أنا لميس.

-لا، أنت لميس الأخرى.

سؤاله هذا، كان كافيا لإحداث ارتباكات كثيرة في حياة لميس، فبمجرد أن تسمعه أمي، تصرخ في وجهي: اذهبي وفتشي لي عن أختك المفعوصة وهاتيها فورا.

- رندة؟!

- لأ. لميس. بدك تجنني!».

لميس التي استشهدت ببندقية قنّاص رصدتها وهي تطل من سطح منزلها ترقب الأفق البعيد المشتّت بين أسوار فلسطين الحزينة، المخضّب بدماء لم تجف من شهداء كثيرين أصبح عددهم أكثر من عدد الأحياء بكثير.

رندة التي تحيق بأوجاع آمنة، وتحاول أن تشاركها أفراحها «المزعومة» من وحي خيالها المجنون بفقدان أحبائها، تصغي إليها بصمت، عندما تعرض عليها أن تزوّج ولدها الشهيد بأختها لميس، وتنفض عن عينيها سحباً لدموع مكبوتة لم يفرج عنهم الصمت إلا قليلاً.. حتى لا تتجلّى الحقيقة ساطعة كالشمس، فتقضي على الأخضر واليابس.. حقيقة أنَّ كلّهم قد رحلوا ولم يتركوا إلا الذكريات.. إلا الصمت.

أمّ التوأم رندة ولميس، سخرت من واقع مجنون حانق...عندما ثارت على انتماء الشباب الفلسطينيين إلى حركة «حماس» أو «فتح» أراد الكاتب أن يفهمنا بأنّه لم يعد في القلب وجعٌ يئن أو عينٌ تدمع، الأحزان باتت مكدّسة مكوّمة كالملابس الممزّقة القذرة التي تنتظر من يغسلها ويصلحها. الموت أصبح أقوى من الحياة، ومن بقي حيّاً فهو ينتظر الموت في أيّ لحظة.

– «قال: أتعرفين ما الذي أتمناه يا خالتي؟

– –ماذا يا ابني؟

– قال: أن يجيء يوم لا نكون مضطرين فيه لحفر قبور احتياطية»

تبقى آمنة وحدها تتجوّل في الأسواق وبين البيوت وفي السماء والأرض، تعبّر عن أرضها المغتصبة ودمها الشهيد. تحاول أن تحيل الأحزان لأعراس تتحدّى كل ما يبتر قلبها من الأوجاع، لكنّها تدرك أنّها تحتال على نفسها، وأنّ هذا لا يعدو أن يكون محض مناورات منها حتى لا تشمِّت العدو الإسرائيلي بها. وفي عينيها مغزى لا يموت عن العروبة المفقودة التي ماتت عندما حملت فلسطين وحدها القضية، بيعت بأرخص الأثمان، وحرمت أن تتجرّأ برفع رأسها، فنهضت ممزقة مثقوبة من كل جانب بأطفال الحجارة وسيول الدماء تدفقت من أجساد الشهداء.

أعراس آمنة نسيج لملحمة العروبة الضائعة بين المحتل ومن ساعده بين من خذلها وحارها وباعها والصمت مازال قائما لا يسري من الشتاء والويل ورياح الغدر.

الصمت يطمس الحزن لأيام ولشهور ربما لبعض سنين فقط، لكنه يستحيل لأرض تخرج أثقالها إن تكلم في يوم من الأيام.

طرحت الرّواية ما تعيشه النساء الفلسطينيات خاصة والمجتمع الفلسطيني بشكل عام بصورة رائعة ومؤثرة، الرّواية قصيرة لكن الشّخصيات ساحرة وطريقة السرد ممتعة جدا.

لقد اختار الكاتب إبراهيم نصر الله موضوعا صعبا وهو الموت "أعراس آمنة" والشهادة، وهو موضوع يغري بالعويل والبكاء والميلودراما لكن ابتعد ببراعة عن كلّ ذلك وراح يستبطن الحالة الفلسطينية الّتي تقع بين حدي الفرح والحزن والعرس، الجنازة وراح يحاور الموت بعمق وذكاء ليضيء جديدا في تجربة الفلسطينيين.

رواية "أعراس آمنة" رواية ساحرة وهي رواية مؤلمة جدا كما هو الحال في الرّوايات الّتي تسلط الضوء على القضية الفسطينية.

وبرغم ما توحيه كلمة "أعراس" في عنوان الرّواية من الفرح والبهجة إلا أنّ الرّواية مليئة بمشاعر الحزن وأشجان فلسطين لا تنتهي... شهداء وقبور وجنازات... دموع وفراق ورحيل الأحبة... وبرغم الألم والحزن والفراق... لا استسلام ولا يأس ولا هوان بل صمود وإيمان، ويقيني بأنّ نصر الله قريب.

نجح إبراهيم نصر الله في جذب القارئ لكنه لم ينجح في فك عقدته، فالقارئ الّذي لم يبدأ بالرواية يختار إذا كان يقصد الكاتب بعنوانه أنّها أحراس آمنة أم أعراس آمنة ثم بعد أن ينتهي القارئ من الرّواية سيكتشف أنّه لم يجد الإجابة لكنه سيكتشف أن إبراهيم نصر الله جمع الروايتين في رواية واحدة فنصف الرّواية مكتوب باللهجة العامية واتصف الآخر بالقصص، تصف الرّواية شبع أملا وتصفها الآخر بقتله اليأس، وفي وصف آخر يمكن وصف نصف الرّواية في أنّها أعراس آمنة في خيالات آمنة ونصفها الآخر أفراحا في قلبها.

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

☒ المصادر:

1. **إبراهيم نصر الله**، أعراس آمنة، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، ط4، 2013.

☒ الدواوين الشعرية:

2. **بدر شاكر السياب**، الديوان، دار العودة، بيروت، 1974، مج2.

3. **ديوان ابن الفارض**، شرحه وقدم له مهدي محمد فاهر الدين، دار الكتب العلمية، ط3، 2002.

4. **ديوان أبو العتاهية**، تح: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، ط1، بيروت، لبنان، 1997.

5. **ديوان النابغة الذبياني**، شرح عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996.

6. **ديوان امرؤ القيس**، مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002.

7. **ديوان عبيدة بن الأبرص**، تحقيق: محمد علي دقة، دار هاجر، ط1، بيروت، 2003.

☒ المراجع العربية:

8. **أم الخير حبور**، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013.

9. **إمام عبد الفتاح إمام**، عالم المعرفة، دط، الكويت، 1978.

10. **أمل مبروك**، فلسفة الموت، دار التنوير، بيروت، لبنان، 2011.

11. **جميل حمداوي**، المقاربة الموضوعاتية، مكتبة المثقف، ط1، 2015.

12. **دلال سليمان المسلم**، ذكر الموت في القرآن الكريم دراسة موضوعية.

13. **سعيد علوش**، النّقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1989، الرباط.

14. **سمية بوصلاح**، جدلية الحب والموت في قصة البوغي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.

15. **صبيحة عودة زغرب**، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، ط1، دار ماجدولين للنشر والتوزيع عمان، الأردن، 2006.

16. **عبد القاهر هلال**، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارات العربية، القاهرة، ط1، 2005.

17. **عبد الكريم حسن**، المنهج الموضوعي النظرية والتطبيق، ط1، 1990، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

18. **عبد الكريم حسن**، المنهج الموضوعي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

19. **عبد الناصر**، تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارات العربية، القاهرة، مصر، 2005.

20. **محمد بلوحي**، النّقد الموضوعاتي "الأسس والمفاهيم"، مؤسسة واحة الدرر، 2011.

21. **محمد عبد الرحيم**، الموت والقبور في الشعر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

22. **محمد عزام**، المنهج الموضوعي في النّقد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1999.

23. **يوسف وغليسي**، مناهج النّقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2007.

24. **حسن أحمد عبد الحميد عبد السلام**، الموت في الشعر الجاهلي، الحسين الإسلامي في حارة المدرسة خالق جامع الأزهر الشعري، 25، 1941، ص1-128.

25. **الشيخ الصدوق**، معاني الأخبار، ج3، معنى الموت.

☒ المراجع المترجمة:

26. **أرنولد توينبي وآخرين**، الإنسان وهموم الموت، عزت شعلان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2011.

27. **جاك شورن**، الموت في الفكر الغربي، تر: كامل يوسف حسين، علم المعرفة، الكويت، 1978.

☒ المعاجم والقواميس:

28. **ابن منظور**، لسان العرب، مج1، طبعة جديدة منقحة ومشكولة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج25.

29. **أحمد بن فارس** بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، مج5، المحقق عبد السلام هارون، دار الفكر العربي (ب. ب. ن)، 1979.

30. **بطرس البستاني**، قطر المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1995م،

31. **جيرالد برنس**، قاموس السرديات، تر: سيد إمام، ميرث للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.

32. **لاروس الصغير**، باريس، 1998.

33. **لوبير**، المعجم التاريخي للغة الفرنسية، باريس، 1992.

34. **مجدي وهيبة وكامل المهندس**، معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1980.

☒ المجلات والمحاضرات:

35. **ابتسام بوطي**، صورة الموت في الفكر الفلسفي الغربي مسرحية الذباب لجان بول سارتر أنموذجا، دراسة تحليلية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، العدد4، 2019.

36. **جميل حمداوي**، السيموطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، مجلد 25، العدد 03، 1997.

37.**رضوان جنيدي**، مأساوية الموت في الشعر المغربي القديم، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلة دورية محكمة، تصدر عن معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي لتمنغست، العدد الأول، ديسمبر 2012.

38.**غيداء أحمد سعودون شلاش**، المكان والمصطلحات المقاربة، دراسة مفهوماتية، مجلة أبحاث كلية الترجمة الأساسية، المجلد 11، العدد 02، 2011/05/12.

39.**قاضي إلياس**، نور الدين زرادي، الموت في شعر عز الدين ميهوبي، ديوان "كاليغولا يرسم غرنيكا الروايس"، العدد2، 2021..

40.**محمود درباسة**، ثنائية الحياة والموت في شعر محمد القيسي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 8، العدد 2، 2015.

41.**يمينة براهمي**، بنية الشّخصية في الرّواية الجزائرية المترجمة، رواية "صدمة" لياسمينة خضرا أنموذجا، مجلة العلوم الإنسانية، المركز الجامعي علي كافي، تندوف، الجزائر، مجلد 5، العدد 1، 10-04-2022.

42.**موفق مقدادي وعبد الله الخطيب**، العتبات في رواية "أعراس آمنة تحت شمس الضحى"، مجلة المشكلة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج01، ع02، 2014.

☒الرسائل الجامعية:

43.**عجوج فاطمة الزهراء**، المكان ودلالته في الرّواية المغاربية المعاصرة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، عقاق قادة أستاذ التعليم العالي، جامعة فيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2012/2011.

44.**سمية عصام إبراهيم وادي**، جدالية الحياة والموت في روايات غسان كنفاني وإبراهيم نص الله، أطروحة ماجستير، لغة عربية، الجامعة الإسلامية غزة، 2017، فلسطين.

☒المواقع الإلكترونية:

***45.* أحلام رحال**، هاجس المبعث والقيامة في الحضارة الإنسانية الأجنحة والنور على الرابط التالي:*https://nassanekendy.blogpot.com 11/05/2023, 15:59*

46. إشكالية الموت في الديانات السماوية والأرضية دراسة تحليلية، موقع *anticles.https//www.mominoun.com*

(1) ليلى إحمياني، إشكالية المصطلح وامتدادته، الحوار المتمدن موبايل، 2014/07/07 الموقع الإلكتروني:

http//m.ahewar.org.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان

الإهداء

مقدمة .....أ-ج

مدخل

الموت والحياة مفاهيم عامة

1- مفهوم الموت لغة واصطلاحا **05**

2- الموت في الفكر الغربي القديم **08**

3- الموت في الفكر الغربي الحديث **10**

4- الموت في الفكر الديني.....**11**

4-1 الموت في الديانة اليهودية.....**12**

4-2 الموت في الديانة المسيحية **12**

4-3 الموت في الدين الإسلامي **13**

5- ثنائية الموت والحياة **16**

6- الموت في الدراسات الأدبيّة **19**

6-1 العصر الجاهلي **19**

6-2 العصر الإسلامي "صدر الإسلام" **20**

6-3 العصر العباسي **21**

6-4 العصر الحديث والمعاصر **23**

الفصل الأول

المنهج الموضوعاتي في النّقد الأدبي

المبحث الأول: الموضوع بين المفهوم والمصطلح **28**

أ- عند الغرب.....**28**

ب- عند العرب 28

المبحث الثاني: المنهج الموضوعاتي المزايا والسلبيات 32

1- مزايا النّقد الموضوعاتي 32

2- سلبيات النّقد الموضوعاتي 33

المبحث الثالث: المنهج الموضوعاتي "النّقد الموضوعاتي" 35

المبحث الرابع: آليات إجرائية في المنهج أو النّقد الموضوعاتي 37

المبحث الخامس: أعلام النّقد الموضوعاتي 39

الفصل الثاني

تجليات موضوع الموت في الرواية

المبحث الأول: العتبات النّصية 42

1- عتبة الغلاف 42

2- عتبة العنوان 44

3- اسم الكاتب "المؤلف" 46

4- الإهداء 46

5- عتبة الاستهلال 46

6- عتبة الإقفال "النهايات" 48

7- الكتابة الأفقية والعمودية 49

8- صفحة المؤلف 49

المبحث الثاني: معالم الحياة والموت 51

1- معالم الحياة 51

2- معالم الموت 59

المبحث الثالث: الشخصيات.....64

المبحث الرابع: المكان.....74

المبحث الخامس: الحدث.....77

خاتمة.....83

الملاحق.....88

قائمة المصادر والمراجع.....98

فهرس المحتويات

ملخص

ملخص:

تناول هذه البحث موضوع تيمة الموت في رواية "أعراس آمنة لإبراهيم نصر الله" حيث يكشف لهنا هذا الموضوع عن التيمات الدالة على الموت وما يحيط به ولقد ساعدنا المنهج الموضوعاتي في استقصاء هذه التيمة من كل جوانبها لأن هذا المنهج يتميز بتتبع جميع المواضيع المتحورة في الرواية من خلال دراسة كل موضوع على حدى ثم الربط بينهم.

ولقد عمل إبراهيم نصر الله في روايته أعراس آمنة على تسجيل تاريخ فلسطين لتتذكره الأجيال القادمة لكي تحافظ عليه وتسمع صوت القضية الفلسطينية للعالم بأسره.

الكلمات المفتاحية: الموت؛ الحياة؛ الموضوعاتية؛ التيمة.

Summary:

This research addresses the topic of death theme in Ibrahim Nacer Allah's novel "Amina's ceremonies". This topic shows us the themes signifying death and what environs it. The thematic method has helped us in investigating all the sides of this theme, since it's characterized with following all the topics of the novel through studying each topic and connect them.

Through his novel, Ibrahim Nacer Allah worked on recording the Palestinian history so that the next generations remember and maintain it, and makes the entire world knows about the Palestinian issue.

Key words: death, life, thematic, theme.